

البوسنة والهرسك

حقائق وأرقام



أ. خالد الأصور



ب شهري يصدر عن
طة العالم الإسلامي

نة الرابعة عشرة
شوال ١٤١٦هـ

العدد
١٦٦



البوسنة والهرسك
حقائق وأرقام





البوسنة والهرسك

حقائق وأرقام

أ. خالد الأصور

[illegible] ١٤١٦هـ - العدد ١٦٦ السنة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم
لفضيلة الشيخ محمد الغزالي

هل يوجد معذبون على ظهر الأرض غيرنا نحن المسلمين؟ إنني أنظر في شتى الاقطار فلا اجد دما مستباحا غير دمنا. ولا حقا مهضوما غير حقنا! وكأنما شعر المعتدون بأنه لا قصاص فمضوا في طريقهم إلى نهايته. وتذكرت قوله تعالى:

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

إن الجبان يكون أشجع الناس حين يأمن الرد، والقوى التي تهاجمنا تقترف ما تقترف وهي مطمئنة إلى نجاتها من أية عقوبة! ماذا يصنع مسلمو البوسنة والهرسك إذا كانت هيئة الأمم تقرر عدم إمدادهم بأي سلاح يقاومون به عدوهم على حين يملك هذا العدو كل وسائل الفتك في البر والجو؟ وتأمل في حال مسلمي الشيشان، إنهم نفر قليل العدد والعدة يتحرك لضربهم الجيش الروسي الضخم ومعه طائراته ودباباته وصواريخه، إن هؤلاء المسلمين البواسل صنعوا الخوارق وما تركوا شبرا من أرضهم إلا بعد أن ذاق خصمهم عذاب الهون. وقد تبعت عيناي الدامعتان أولئك المجاهدين المسلمين الشجعان في الفلبين وفي كشمير وفي بورما وفي الهند وفي فلسطين وفي كل أرض هاجمها الفتانون المتوحشون وشعرت

بضراوة الهجوم وقسوة المعركة، إن حقدهم على الاسلام شديد وتذكرت الآية الكريمة:

﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

قديما فرّ الفتية أهل الكهف من وجه الرومان الوثنيين وبعضهم يقول للآخر:

﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ [الكهف: ٢٠].

والواقع أن التاريخ سجل للاستعمار الحديث كتابا اسود، إن سكان امريكا واستراليا الأوائل باد اكثرهم مع وحشية الجنس الاوربي المكتشف، انه اقبل على الأرض البكر وهو يصيح طالبا الذهب والفضة. وصنوف المغانم الاخرى واستطاع الفتك بالالوف المؤلفة من أولئك العزل المساكين، وحاز دونهم كل شيء وترك احفادهم يتسولون والمستعمرون المعاصرون ورثوا احقاد الصليبية القديمة، وانطلقوا مسعورين في أرض الاسلام يريدون امتلاكها ومحو ما عليها من تراث ومَنْ عليها من بشر! والمقاومة الآن مشتعلة في بقاع كثيرة وعلى حملة الاقلام أن يتابعوا ما يقع وأن ينقلوه للأجيال القادمة، حتى يعلم الأبناء والأحفاد ما وقع لآبائهم من المآسي!! وقد قرأت ما كتبه الاستاذ خالد الاصور عن هذه المرحلة من جهاد المسلمين في البلقان، ورضيت عن سرده للأحداث وتصويره للوقائع.. إن الأمر جلل، وهو يتصل بمستقبل الاسلام لا في شرق اوربا وحده، بل بمستقبله في العالم اجمع. ومنذ قرن

والمعارك لاتخمد نارها في البلقان، والمهاجمون مصرون على مقاومة الاسلام، واستئصال اتباعه.

ربما نجح اعداؤنا في كسب بعض المواقع، ولكن الحرب سجال وعلى حملة الأقلام أن ينهضوا بواجبهم في التبصرة والتذكرة ولله الأمر من قبل ومن بعد.

فليكن هذا الكتاب وفاء بحق الاسلام علينا والله ولي التوفيق.

القاهرة – محمد الغزالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) ﴾ . [آل عمران: ١٣٩ - ١٤١] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) ﴾ [محمد: ٣١] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) ﴾ [محمد: ٣٨] .

صدق الله العظيم

تمهيد

بدأت مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك في إبريل ١٩٩٢م - أي قبل اربع سنوات - فبعد تفكك جمهورية الاتحاد اليوغسلافي أعلنت جمهوريتا صربيا والجبل الاسود اتحادهما وأنهما وريثتا دولة يوغسلافيا السابقة ، كما أعلنت جمهوريات كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا استقلالها ، ولكن ما إن أعلنت جمهورية البوسنة والهرسك ذات الغالبية المسلمة استقلالها - وبتشجيع من بعض دول الاتحاد الاوربي وخاصة المانيا التي أيدت هذا الاستقلال - حتى تكالبت على الدولة المسلمة الوليدة قوى الشر فارتكبت بحق المسلمين «سلخانة بشرية» ، فقد قتلوا من قتلوا ، واغتصبوا من اغتصبوا ، وشردوا من شردوا .

إن المكتبة العربية والاسلامية بحاجة ماسة في وقتنا الحاضر إلى الكتب الوثائقية التي ترصد الأحداث في حينها وتقدمها شهادة للتاريخ على هذه الحقبة . ومن الواضح أن الكتاب أو المطبوعة الوثائقية تقوم بدور المؤرخ الذي كان عبر العصور الاسلامية القديمة يسجل الأحداث مستشهدا بأقوال الوجهاء وشهادات العامة وأقوال الشعراء وأرباب الحكمة .

ومن هنا لابد من القول : إذا كان العرب المسلمون قد اهتموا بتوثيق حياتهم الكلية وقضاياهم الرئيسية في سجلات لازالت بين أيدينا شهدت سائر الأمم بأهميتها للإنسانية - إذا كان ذلك كذلك -

فإننا مازلنا بحاجة ملحة إلى منهج التوثيق الذي يقدم فيما يقدمه من فوائد «العبرة والعظة».

وإيمانا بأهمية الكتاب الوثائقي، فقد عزمت على أن أسهم في الكتابة عن قضية مسلمي البوسنة والهرسك. وسوف اعرض في هذا الكتاب وفي الفصل الأول منه للجانب التاريخي في البوسنة والهرسك مع إلقاء الضوء على خلفيات الصراع، وكشف جذور وبذور خريطة الكراهية في منطقة البلقان.

وفي الفصل الثاني نعرض لمقارنات بين الماضي والحاضر تؤكد هذا المعنى حيث أن الماضي هو مرآة الحاضر ونافذة المستقبل.

ويأتي الفصل الثالث ليتحدث عن «الأمم المتحدة» وبيان تقصيرها الفادح بحق المسلمين وانعدام مصداقيتها، خاصة تحت اشراف بطرس بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة والذي قام بدور مشبوه.

أما الفصل الرابع فيتحدث عن «الموقف الغربي الأوربي في البوسنة»، حيث يتحدث عن موقف الدول المعنية مباشرة بالقضية والضالعة في استمرار هذه المأساة من خلال وثائق متبادلة مع سفارات هذه الدول، وهي: بريطانيا، روسيا، الولايات المتحدة الامريكية، فرنسا، المانيا، اليونان، قبرص، مقدونيا.. وعلى رأسهم صربيا والجبل الاسود.

ويعرض الفصل الخامس لحقوق الانسان في ظل النظام العالمي الجديد وبيان أنها مجرد إعلانات ومواثيق جوفاء إذا تعلق الأمر بالمسلمين، وكيف أن الحيوان يحظى بقدر أكبر من التعاطف عند

الغرب أكثر من الانسان، والطفل المسلم، ونختم هذا الفصل بتوثيق شهادات وتقريرات منظمات حقوق الانسان العالمية حول قضية البوسنة، والتأكيد على أن المجتمع الدولي أحوج ما يكون إلى «حلف الفضول» الذي عرفه العرب في الجاهلية.

أما الفصل السادس فيوضح أن محاكمة مجرمي الحرب من الصرب ما هي إلا تهدئة للرأي العام الاسلامي مقارنة بالمحاكمات السريعة للنازيين في الحرب العظمى الثانية، فهي عرض وسرد مختصر لسيرة ذاتية لعدد من مجرمي الحرب الصرب.

ثم في الفصل السابع نعرض مقارنة بين سراييفو الأمس حيث العمران والازدهار، وسراييفو اليوم حيث الدمار، وتسجيل موثق للمرضى والجرحى والقتلى ومعسكرات الاعتقال والتعذيب . . إنه تقرير الرعب!! ثم نعرض تقريرا دقيقا لمدن وقرى البوسنة وسجل الدمار.

أما الفصل الثامن فيتناول الحديث عن أعداء الفكر الانساني واغتيال ذاكرة الأمة وإهانة الرمز الإسلامي ممثلا في أئمة المساجد، ونورد تقريرا مفصلا لعشرات المساجد التاريخية منها خاصة التي لحقها التدمير الكلي أو الجزئي من جراء العدوان الاجرامي الصربي.

ثم يأتي الفصل التاسع وفيه حديث عن اغتصاب المسلمات ونقارن بين حال الأمة الاسلامية بالأمس حينما كانت تعلو هذه الصيحات والاستغاثات: «وا إسلاماه»، «وا معتصماه» . . حيث كانت الأرض تتزلزل من تحت أقدام الطغاة أعداء الاسلام، وحال

الأمة اليوم . . حيث اللا مبالاة تجاه هذه الجريمة البشعة - جريمة الاغتصاب - ونعرض لأمثلة من جرائم الاغتصاب المنظمة باعتبارها أوامر عسكرية . . ثم نختم الفصل بالموقف الشرعي من الاجهاض وأطفال الاغتصاب .

ثم تأتي خاتمة الكتاب .

والله تبارك وتعالى نسأل أن يخفف عن اخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك ما عانوه ويعانونه من ظلم ، وأن يجعل هذا العمل - وهو جهد المقل - خالصا لوجهه الكريم ، وأن يثقّل به ميزان حسناتنا . . إنه سبحانه أكرم مسؤول وأعظم مأمول .

خالد محمد الأصور

الفصل الأول

البلقان .. والبلقنة

خلفيات الصراع

تيتو .. صانع المأساة

خريطة منطقة البلقان

«البلقان» و «البلقنة»

- «البلقان»:

هو الاسم الذي يُطلق على شبه جزيرة كبيرة توجد جنوب شرقي أوربا، حدودها البحر الأسود شرقا، وبحر مرمرة والبوسفور والدردنيل وبحر ايجه جنوبا، والبحر الأدرياتيكي غربا، ونهر الدانوب شمالا.

وفي هذه المنطقة التي تعرف باسم «البلقان» توجد أراضي ست دول هي: ألبانيا، اليونان، رومانيا، بلغاريا، يوغسلافيا السابقة، والجزء التركي في أوربا.

ولهذا فإنه عندما ترد كلمة «البلقان» يقصد بها المنطقة التي تقع فيها هذه الدول بالاضافة إلى الدول التي كانت تكوّن الإتحاد اليوغسلافي، وهي: صربيا، كرواتيا، البوسنة والهرسك، سلوفينيا، مقدونيا، الجبل الاسود.

- «البلقنة»:

مصطلح أُطلق على الحروب الدامية التي شهدتها منطقة البلقان عبر مراحل التاريخ، قديما وحديثا، والمراد بهذا المصطلح أن الحرب في هذه البقعة القلقة من أوربا تبدأ عادة في دائرة ما، ثم تتعدد الدوائر وتتداخل وتتشابك، تماما كإلقاء حجر في الماء تنتج

عنه دوائر متداخلة، وهذا ما حدث في حرب البلقان الأولى والثانية عامي ١٩١٢، ١٩١٣م، وكذلك في الحربين العالميتين الأولى والثانية، حيث كانت هذه المنطقة هي بؤرة الصراع ومنها اندلعت شرارة الحرب.

- «مقارنات»

المقارنات والمقاربات بين عام ١٩١٧ في صراع البلقان وبين عام ١٩٩١ لا حصر لها. القوى تكاد تكون نفسها، وكذلك المواقف، فانهيار الامبراطورية العثمانية كانهيار الامبراطورية السوفيتية، كان هذا الانهيار في الحالتين إيذانا بانفجار الموقف، ولكن الفارق الأساسي هو هذا: الغرب، إذ بدلا من أن يدخل الصراع الطائفي بصورة مباشرة واضحة، دخله هذه المرة متواطئا وبصورة غير مباشرة، ولكنها فاضحة، إذ اندفعت ألمانيا إلى جانب الكاثوليك في كرواتيا ومعها الفاتيكان، ووقفت روسيا - العائد حديثا من الشيوعية إلى الأرثوذكسية - إلى جانب صربيا.

- «صربيا في المخطط البريطاني»

ما حدث في نهايات القرن العشرين مشابه لما حدث في أوائله - وكأن التاريخ يعيد نفسه - الصرب والكروات يتصارعون أولا، ثم الصرب ضد المسلمين، وكما تقف بريطانيا موقف «المشاركة بالامتناع» في أوائل القرن، تقف نفس الموقف في أواخره، اما المانيا فتنحاز إلى كرواتيا.

وتضارب المصالح بين بريطانيا والمانيا يرجع إلى ثمانينات القرن الماضي حينما نجحت مجموعة من رجال الأعمال الألمان في الحصول على موافقة الخليفة العثماني «١٨٨٩م» لبناء خط للسكة الحديد من برلين عبر اسطنبول إلى الأناضول وصولا إلى بغداد كما كان مخططا، كان هذا الطموح الألماني يتصادم مباشرة مع «الاستراتيجية» البريطانية ومصالحها في البلقان والشرق الأوسط والهند، وعبر عن ذلك بوضوح كتاب للورد «ر. ج. لافان» البريطاني الذي كان يعمل مستشارا للجيش الصربي، وعنوانه: «الصرب، حراس البوابة» وفيه قرر أن مشروع برلين - بغداد يهدد مستقبل بريطانيا، وأن ثمة دولة واحدة يرشحها موقعها الجغرافي للقيام بمهمة قطع الطريق على الطموح الألماني، هذه الدولة هي: صربيا.

إن بريطانيا كان لها دور كبير في إذكاء صراعات البلقان لإفشال خط سكة حديد برلين - بغداد وإحباط الطموحات الألمانية في الشرق الأوسط وتأمين مصالحها، لذلك كانت «صربيا» مهمة لبريطانيا حيث اعتبرتها منذئذ إحدى ركائز مخططها في حصار المانيا وكبح جماحها.

إن هذه الخلفية التاريخية تفسر لنا جانبا مهما مما يحدث الآن، فبعد توحيد المانيا وتحولها إلى اكبر قوة اقتصادية في أوربا، كان لابد أن تستبد المخاوف ببريطانيا وفرنسا، وأن تبرز صربيا كقوة إقليمية لكي تؤدي دورها الذي راهنت عليه و استثمرته بريطانيا طيلة القرن الأخير.

والمصالح «الاستراتيجية» في الصراع الأخير لم تعد مقصورة على طموحات الهيمنة السياسية والاقتصادية، ولكن بروز العامل الإسلامي أضفى أهمية متزايدة على الدور الصربي لدى بريطانيا.

- «بين باريس وجنيف»:

كان مؤتمر باريس في عام (١٩٢٠) لتسوية أزمة البلقان، واليوم بعد (٧٣) عاما مؤتمر جنيف لنفس الغرض.

في بداية القرن رأى الغرب أنه لابد من إقامة دولة «لليوغسلاف»، واليوم يرى أنه لا حل إلا بتفكيكها، وأن إقامتها كان أحد أكبر الأخطاء في هذا القرن.

خلفيات الصراع في البلقان

ماذا تعرف عن البوسنة؟! . . البوسنة هي أكثر جمهوريات يوغسلافيا السابقة الست تواضعا وهدوءا، وفي الماضي كانت أكثر محافظات الاتحاد المجري النمساوي تخلفا وفقرا، وفي كل العصور كانت الأكثر تبعية، حتى عندما أصبحت جمهورية داخل الاتحاد اليوغسلافي أُطلق عليها «البوسنة والهرسك» وليس باسمها منفردا أي «البوسنة».

ولكن قد تتساءل: ما السبب الذي جعل هذا الجزء من يوغسلافيا في مقدمة اهتمامات السياسة الدولية هكذا فجأة؟! وما الذي جعله «مصدر خطر وقلق» للاستقرار في أوربا، ومحل اهتمام خاص لحلف الناتو؟!.

إن أي تقييم للصراع المستعر في منطقة البلقان سوف يظل منقوصا مالم يتم في ضوء استيعاب خلفيات هذا الصراع، إذ باستحضارها تتوافر مفاتيح الفهم الصحيح، ومن ثم التقييم الصحيح، وإذ نتوقع «بلقنة» المنطقة من جديد في ظل التطورات الأخيرة الخطيرة التي تشهدها الحرب الدموية في البوسنة والهرسك، إنما نستند في ذلك إلى مبررات موضوعية تجعل هذا الاحتمال أقرب إلى الحقيقة والواقع، وننطلق في هذا التوقع من خلفيات أساسية أربع:

أولا: الخلفية الجغرافية :

إن أراضي البوسنة تبدو على الخريطة أشبه ما تكون بالمثلث المتساوي الضلعين والذي يكاد أن يكون متساوي الأضلاع الثلاثة، الأمر الذي يجعلها متميزة بشكل خاص عن كرواتيا مثلا التي لاتساعدها تركيبتها الحدودية على الاستقلال بشكل جدي، وهذا ما دفع الألمان في الحرب العالمية الثانية -وكذلك الصرب والكروات اليوم - إلى محاولة ضم البوسنة رغم الاختلافات القومية والدينية والتاريخية، الأمر الذي مثّل مصدرا لاندلاع الصراع حول البوسنة.

كما أن البوسنة تتمتع بحدود مثالية مقارنة بأية دولة، فهي حدود طبيعية تتمشى مع العوامل الإثنوجرافية والتاريخية، حيث يفصلها عن كرواتيا نهر «أونا» وعن صربيا نهر «درينا» وعن دالما سلسلة من الجبال الشاهقة، وعن الجبل الأسود منطقة تفريع نهر «نيرتفا» وسلسلة جبلية، لذلك فإن اقتطاع جزء من البوسنة يعني بصراحة تدخلا غير طبيعي في التركيبة الجغرافية والتاريخية لهذا البلد، لذلك فإن أي تغيير ولو طفيف في هذه التركيبة سيحدث حالة من عدم الاستقرار في المنطقة بأسرها.

أما الهرسك فتبدو بمثابة البوابة الجنوبية للبوسنة وقد تطورت ونمت مع البوسنة بحيث لايمكن أن تفصل بينهما حدود أو قيود، الأمر الذي يفسر تلاحم وجودهما الجغرافي، وبالتالي التاريخي والسياسي.

ثانيا: الخلفية التاريخية :

إبان العصر اليوناني الروماني كانت البوسنة جزءا من الامبراطورية الرومانية، وفي القرن السابع الميلادي بدأت القبائل السلافية تستوطن البوسنة ثم أخذت تمتزج مع السكان المحليين الأصليين، وبعد تقسيم الامبراطورية الرومانية إلى قسمين: شرقي وغربي، ضُمَّت البوسنة إلى الامبراطورية البيزنطية، ولكن ولكونها محافظة بعيدة عن القسطنطينية العاصمة فقد وُلِّي أمر إدارتها إلى الأمراء الصرب والكروات المحليين.

وفي القرن الثاني عشر ضُمَّت البوسنة إلى المجر الآخذة في القوة. وفي القرن الثالث عشر أصبحت إمارة مستقلة لأول مرة في تاريخها ثم تحولت بعد ذلك إلى الملكية.

وفي الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر كانت البوسنة تعيش عصر الاستقلال والانتعاش.

وبعد انتصار تركيا على المجر والتشيك في معركة «موخاتش» عام (١٥٢٦) اصبحت البوسنة منفصلة تماما عن أوربا المسيحية حيث أصبح الأتراك يهددون فيينا نفسها، وتمكنت قوات الخلافة العثمانية بقيادة السلطان محمد الفاتح من الامتداد غربا تجاه شبه جزيرة البلقان لتضم جمهوريات صربيا، والبوسنة والهرسك، ومقدونيا، وجزءا من كرواتيا، وهو الضم الذي استمر حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث نشبت حرب جديدة بين روسيا وتركيا عامي (١٨٧٧) و(١٨٧٨)، إلا أن هذه الحرب التي شنتها روسيا بزعم حماية السلاف من نير الاستبداد التركي لم تعد على

شعب البوسنة إلا بالمزيد من الضغوط والمعاناة، ففي عام (١٨٧٨) قررت المجر النمساوية ضم البوسنة والهرسك إليها، وقاوم شعب البوسنة هذا الاجراء مقاومة عنيفة، حيث أن هذا الضم أدى إلى سوء أحوال الشعب من كافة النواحي.

ومع حلول عام (١٩٠٨) كان ضم البوسنة والهرسك إلى المجر النمساوية ضماً رسمياً كاملاً - خاصة بعد أن خفت حدة المقاومة ضد الاحتلال - مع منح البوسنيين سلطة حكم ذاتي محدود قائم على أساس «الزيمستنو» وهو مجلس محلي منتخب في الريف شاع في روسيا قبل الثورة البلشفية.

ولكن لم تكد تمر ست سنوات على هذا الوضع، ولدى أول زيارة يقوم بها ولي عهد النمسا «إبرتسجير تسوج فرديناند» في ٢٨ يوليو ١٩١٤ قام باغتياله شاب صربي لم يتعد عمره ١٩ عاما وهو «جافريلو برينتسيب»، وكانت هذه الحادثة هي الشرارة الأولى للحرب العالمية الأولى والتي جعلت البوسنة تبرز من جديد على سطح السياسة الدولية وتظهر على المسرح الدولي في دور «المعكر لصفو الإستقرار الأوربي».

وفي الأول من ديسمبر ١٩١٨ تم الإعلان عن قيام «مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين، والتي ضمت: سلوفينيا وكرواتيا ودالماسيا والجبل الاسود والبوسنة والهرسك وصربيا وقسما من مقدونيا»، لكن، وفور قيام المملكة، عادت النزاعات القومية إلى الظهور كأبرز عوامل عدم الاستقرار التي عملت فيما بعد على تهيئة مناخ من التشاحن داخل الدولة في الأوقات الحرجة، بل أدت هذه

النزاعات إلى قيام حروب أهلية لدرجة أصبح معها التحلل والذوبان النهائي للدولة يشكل الخيار الأمثل والوحيد لحل الخصومات العرقية المشتركة.

وفي ديسمبر ١٩٤٥ أصبحت يوغوسلافيا جمهورية فيدرالية تتبنى دستورا على النمط السوفياتي وذلك إثر اقصاء «بيتر» آخر ملوك يوغوسلافيا عن الحكم ١٩٤٤م.

ولنا عودة في الصفحات التالية إلى الحقبة التالية في عهد «تيتو»، ولكننا نلفت الأنظار إلى أن المسلمين ومنذ انحسار النفوذ العثماني عن المنطقة كانوا الضحية الأولى لكل النزاعات العرقية الداخلية والأطماع والمصالح الخارجية وعانوا كثيرا من التجاهل المطلق لكافة حقوقهم وكانوا عرضة للتقتيل والتنكيل، مما حدا بأعداد كبيرة منهم إلى الهجرة شرقا باتجاه تركيا.

ثالثاً: الخلفية العرقية:

لم تكن النزاعات العرقية المريرة التي كانت تندلع بين الحين والآخر بين المسلمين والصرب، وتلك التي اندلعت في العشرينات من هذا القرن بين الصرب والكروات - لم تكن - تبشر بأي مستقبل زاهر لمنطقة البلقان في ظل محاولات التوحيد والهيمنة التي كان الصرب عادة يسعون اليها باعتبارهم الطائفة الأكبر والأقوى.

وكان لهذه النزاعات آثار سلبية مباشرة على المجموعات المسلمة في صربيا عموما وفي البوسنة والهرسك خصوصا، وكانت - ولازالت - النظرة السائدة لدى الصرب والكروات أن المسلمين

في هذه المنطقة أتراك وافدون يجب طردهم، ويمكن الاستشهاد على ذلك بحادثة وقعت في الجمعية الوطنية اليوغسلافية عام ١٩٢٥ عندما قام أحد الوزراء الكروات بالرد على اعتراض قدمه وفد «المنظمة الاسلامية اليوغسلافية» آنذاك، حيث قال بحدة وصرامة: «أنتم أيها الأتراك، إرحلوا إلى آسيا!!»، وتعبر هذه الكلمات القليلة عن الوضع الحقيقي للمسلمين بين شقي الرحى، الصرب والكروات.

وبالرغم من الاستقرار السياسي الذي حققه الاتحاد اليوغسلافي في بعض المراحل من تاريخه، فإن افتقاره للعامل المشترك الوحدوي الذي يمكن على أساسه توحيد القوميات العرقية المختلفة - إذ أن الشعوب اليوغسلافية تتألف مما يقرب من عشرين مجموعة مصنفة إلى ست تجمعات دينية وطائفية رئيسية - كان سببا في بروز مشكلات بين الطوائف المختلفة بصورة دائمة.

ضمن هذا السياق كانت المصالح الصربية والكرواتية والسلوفينية تقوم بالدور الحاسم والمؤثر في مسيرة الأحداث التي مر بها الاتحاد وتتحول بشكل سريع إلى مولّد للمزيد من التوترات والنزاعات في المنطقة، وكان وضع المسلمين بين الأطراف المتنازعة بائسا للغاية، بل هذا هو وضعهم منذ الانسحاب العثماني عن شبه جزيرة البلقان عام ١٩١٢.

بناءً على ما سبق يمكننا الوصول إلى استنتاج عام وهو أن الخلافات والتناقضات بين الشعوب اليوغسلافية المختلفة لن تنتهي بانتهاء الحرب في البوسنة والهرسك، ذلك أن صراعات البلقان استعصت دائما على الحل، وإذا كان ثمة حلول، فهي دائما جزئية.

رابعا : الخلفية الدينية :

عند النظر إلى القضية نظرة شمولية متكاملة يتضح لنا بجلاء أن البعد الديني كان له الأثر الأكبر في توجه الصراعات والمواقف بين الصرب والكروات والمسلمين، ويبدو ذلك بوضوح خلال الأزمة الحالية، فبالنسبة للصراع بين الصرب والكروات فإن الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية تريان - وتجاوزا لكافة العوامل السياسية - أن هذه الحرب تمثل صراعا مذهبيا بينهما، وهذا هو السبب الذي حدا بالكنيسة الأرثوذكسية الصربية إلى تأييد المجرمين الصرب منذ البداية، كما أن السبب ذاته حدا بالفاتيكان وإيطاليا وألمانيا أن تكون من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال سلوفينيا وكرواتيا .

وفي الجانب الاسلامي فإن هذا البعد الديني أثّر كثيراً، ولاشك في تفاعل الشعوب المسلمة مع المسلمين في البوسنة والهرسك خاصة في ظل تعالي النداءات في الغرب إلى إحياء الحروب الصليبية وباعتبار الاسلام - المرشح بقوته الذاتية لقيادة العالم - هو العدو القديم الجديد للغرب .

ولهذا يمكن القول دون تهويل أو تهوين أن الروح الدينية المشبعة بمشاعر التخوف من أي خطر أو وجود ديني بين الأطراف المتصارعة، ستظل عاملاً أساسياً في عدم استقرار المنطقة إضافة إلى عوامل النزاع الاقليمي والاختلاف السياسي . . وسوف نتناول في الصفحات التالية بشيء من التفصيل بعض مظاهر الخلفية الدينية للصراع في البلقان .

تيتو .. صانع المأساة !!

ماذا تعني البوسنة والهرسك !؟

أخذت البوسنة والهرسك هذا الإسم من جزءين: الأول، مشتق من نهر البوسنيا «البوسنة»، أما الجزء الثاني فقد ألحق بالأول في القرن الخامس عشر بعد فترة حكم الدوق «هرسك ستيفن فوليك»، والبوسنة والهرسك تمثل ٢٠٪ من المساحة العامة ليوغسلافيا، وتحيط بها من الشمال والغرب كرواتيا، ومن الشرق صربيا، أما من الجنوب فجمهورية الجبل الأسود الموالية للصرب.

وتقع جمهورية البوسنة والهرسك وسط ما كان يعرف بجمهورية يوغسلافيا، ويبلغ عدد السكان في البوسنة والهرسك خمسة ملايين نسمة حسب تعداد ١٩٧٦م، يمثل المسلمون ٥٠٪ من مجموع السكان، بينما يبلغ سكان الصرب فيها ٣٠٪، والكروات ١٧٪ والباقي قوميات اخرى.

ويتضح من ذلك أن المسلمين يمثلون الغالبية العظمى بالنسبة للطوائف الأخرى، وسراييفو العاصمة يقطنها نصف مليون نسمة وهي أكبر مدن البلقان وأهمها بعد «بلجراد» ولم تصبح مدينة بالمعنى الحالي إلا منذ ١٤٦٢م، واسمها يعني «قصر ما بين المروج».

صانع المأساة :

تصاعدت أزمة البوسنة والهرسك بعد تولي «تيتو» حكم يوغسلافيا عام ١٩٥٣م، وقد لايعلم الكثيرون أن هذا الطاغية هو رأس البلاء والمصائب التي لحقت بالمسلمين في البوسنة، فقد كانت معاملته لهم محل انتقاد وتقريع الصحافة الأجنبية عكس ما كان يجده من ترحيب ومديح في صحف عدد من الدول العربية. كمصر مثلا .

كان تيتو يجد في مصر فرصته الذهبية لتحسين صورته في العالم الاسلامي إبان حكم الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يعتبره صديقا خاصاً، كما الأمر بالنسبة للزعيم الهندي جواهر لال نهرو.

كان تيتو - كما يقول حمدي سبايتش مفتي يوغسلافيا - يرغم المسلمين على السير ووجوههم في الأرض، وفي الوقت نفسه كان يعامل الأقلية اليهودية في بلاده كأفضل ما يكون، رغم أنه كان ينتقد الكيان الصهيوني في بيانات نارية من راديو بلجراد لتستفيد بلاده تجاريا من العرب، وبعد وفاة عبد الناصر وثق تيتو علاقته بالرئيس السادات حتى توقيع معاهدة كامب ديفيد، ثم أدار له ظهره لأنه وجد المعاهدة عقبة أمام مصالح يوغسلافيا في العالم العربي والإسلامي.

جمال عبد الناصر والصديق تيتو!!

سأل عبد الناصر تيتو يوما : هل صحيح أنك تسوم المسلمين سوء العذاب؟ رد تيتو بيقين: «ليس في يوغسلافيا مسلمون، إنهم لايمثلون قومية، وأنت تتفق معي في أن الدين لا يمكن أن يكون

قومية قائمة بذاتها، فالمسلمون الموجودون لدينا كانوا صربا وتحولوا للاسلام في ظل الحكم العثماني»!!

والواقع أن سلوبودان ميلوسوفيتش الرئيس الحالي للصرب وصنيعته كاراديتش يؤمن كل منهما بهذه الفكرة ويطبقها بإخلاص وتفان، لذلك تم إمداد الأقليات الصربية بكل الجمهوريات الخمس بالسلاح ليتولوا إشعال الاضطرابات والقلاقل، ولما بدأ الصرب يقذفون كرواتيا الكاثوليكية ويدمرونها، هنا تدخل يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان وقال إنه سينزع الرحمة عن صربيا وقادتها لو استمروا في غيهم، ورضخ الصرب للتهديد والوعيد البابوي.

البيان الاسلامي:

ولكن ما سبب هذه الحرب الضروس التي اشعلها الصرب ضد المسلمين وما سبب هذا الحقد الدفين، والبغض الشديد للمسلمين؟

يمكن أن نجد جزءا من الاجاب عن هذا التساؤل في كتاب ألفه قبل ٢٣ عاما الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش وعنونه بـ«البيان الاسلامي»، هذا الكتاب اعتبره تيتو عام ١٩٧٠ اكبر خطر يهدد أوربا والشيوعية، لأنه يمثل ميثاق عمل إسلامي يضم المسلمين من إندونيسيا حتى المغرب في اتحاد وثيق متكاتف، وفور صدور الكتاب تم اعتقال علي عزت بيجوفيتش وإلقاءه في غياهب السجون، وقد سمع جمال عبد الناصر قبل وفاته باشهر من الشيخ حسن الباقوري وزير الاوقاف عن اعتقال وتعذيب علي عزت بيجوفيتش وطلب من الرئيس مفاتحة تيتو في الافراج عنه، وعندما

استوضح عبد الناصر من «صديقه!!» تيتو هذا الأمر، قال له: إن هذا الرجل أخطر من تنظيم الاخوان المسلمين عندكم، ثم سأله: لماذا تتوسط له وأنت تتخذ نفس الموقف ممن يحملون أفكاره في مصر .. واسقط في يد الزعيم!!

كان تيتو قد ارتكب خطأ بالغاً في البوسنة والهرسك بمحاولاته تغيير التركيبة السكانية وتوطين أعداد كبيرة من الصرب والكروات في مناطق المسلمين، كذلك كانت من أعماله التي كانت لها نتائج تشجيعية تزويج المسلمات من الصرب والكروات.

وبسبب هذه الأعمال التي قام بها تيتو اختل توازن التركيبة السكانية في البوسنة والهرسك التي كانت تضم أغلبية ساحقة من المسلمين، حيث أصبح بينهم أعداد كبيرة من الصرب الأرثوذكس والكروات الكاثوليك، وعقب وفاة تيتو استمر الوضع في يوغسلافيا فترة زمنية بسيطة تتفاعل فيها التيارات حتى أعلنت كرواتيا ومقدونيا وسلوفينيا استقلالها، وجاء الدور على البوسنة والهرسك، ففي ٢٩ فبراير ١٩٩٢ جرى استفتاء داخل البوسنة عارضه السكان الصرب وانتهى بتصويت الأغلبية لاستقلال البوسنة والهرسك، وأعلن الاستقلال رسميا وشعر المسلمون أن حقهم في الحياة العزيزة الحرة الكريمة قد حان، وخاصة أن نسمات الحرية بدأت تهب بشدة على المنطقة، ولكنهم كانوا مخدوعين، فالحرية متاحة للجميع ماعدا المسلمين لأنهم فئة أخرى بل إن هناك في الغرب من يتنادون بأن الاسلام هو العدو الأكبر للغرب ويجب استئصاله من أوربا.

خريطة منطقة البلقان

تحاصر الصراعات أوربا من جميع النواحي سواء كانت هذه الصراعات دينية أم قبلية أم حضارية لكن أخطرها هي تلك التي تدور حاليا في يوغسلافيا وتنذر بالامتداد والتوسع لتنال من استقرار وأمن دول المنطقة المعروفة باسم منطقة البلقان. وتسمم هذه الحرب الأهلية التي يصطدم فيها الكاثوليك والارثوذكس بالمسلمين أجواء المنطقة بأسرها .. ربما يرسم خريطة للكراهية في الداخل ومع الخارج ربما يحدد مستقبل هذه الدول وعلاقاتها مع الدول الأوروبية المجاورة لها.

١ - الصرب:

تعد الصرب نقطة الانفجار المتوقعة في شرقي ووسط أوروبا إذ أن قادة هذه الجمهورية يمارسون سياسة «التطهير العرقي» مما يغير في مفهومهم ارتكاب مجازر بشعة ومذابح تقشعر لها الأبدان ضد المسلمين وغيرهم من القوميات والمجموعات غير الصربية الأخرى.

وقد أدين هؤلاء الصربيون وهم من المسيحيين الارثوذكس من جانب المجتمع الدولي على نطاق واسع، ولكنهم يواصلون كراهيتهم وعداوتهم للجميع باستثناء اليونانيين والرومانيين في الخارج وهما الحليفان المتحمسان لهم، اضافة إلى الروس.

وفي الداخل فإن هناك عداوة تاريخية بين الصرب والكروات الذين يتهمهم الصرب بالعمالة لصالح الالمان خلال الحرب العالمية الثانية. ولم ينس الصرب حتى الآن العلاقة الوطيدة التي جمعت بين الكروات من جهة والأتراك والألبان من جهة أخرى خلال فترة الخلافة العثمانية.

ويحمل الصربيون افكارا عنصرية مليئة بالمشاعر القومية التي تجمع بين ٨ ملايين صربي يهددون بتصرفاتهم المنطقة بأسرها. مثلما حدث في عام ١٩١٤. وإذا أصبحت الخطوة التالية للصرب هي «التطهير العرقي» لاقليم كوسوفو الذي تقطنه اغلبية ألبانية مسلمة فإن جنوب وشرق أوروبا سيكون مهددا بانفجار واسع النطاق. إذ أن ايذاء الصرب لنحو مليوني مسلم ألباني قد يثير حفيظة ألبانيا ويجرها إلى حرب شاملة في منطقة البلقان تتورط فيها ايضا مقدونيا وبلغاريا وتركيا واليونان. ويهدف الصربيون في الاساس بقيادة رئيسهم الدكتاتور سلوبودان ميلو سيفيتش إلى اعادة فرض قبضتهم وسيطرتهم على يوغسلافيا بحيث ينفذ الجميع توجيهات وأوامر الاغلبية الصربية.

٢ - البوسنة:

ينحدر المسلمون في البوسنة من اصول سلافية وهم قوم متمدنون ويتميزون بالتهذيب الشديد في معاملاتهم. ورغم أن البوسنة معترف بها دوليا إلى جانب سلوفينيا وكرواتيا بأنها دول مستقلة، فإنها تواجه مشكلات عديدة بسبب وجود نسبة تصل إلى

٣٤٪ من سكانها من الصرب. وهم ينفذون مخطط «التطهير العرقي» باسلوب عنصري بشع، وقد اضطر ما لايقل عن ٩٠٠ ألف مسلم من اجمالي ٩ر١ مليون مسلم إلى مغادرة البوسنة بسبب المذابح التي ترتكبها القوات الصربية.

٣ - كوسوفو :

معظم المسلمين في كوسوفو قادمون أساسا من ألبانيا وهم يخشون بطش القوات الصربية التي تعتبر كوسوفو أرضا صربية خالصة. ولدى مسلمي كوسوفو الأسباب الكافية للشعور بالخوف من فقدان منازلهم وأراضيهم بالإكراه.

وتبدو الحرب خطرا محدقا بالنسبة لأهالي كوسوفو، خاصة بعد تدمير أنحاء البوسنة ورغم تمتع كوسوفو بالحكم الذاتي داخل جمهورية الصرب فقد ضمتها الصرب إليها في عام ١٩٨٩ .

وأغلبية السكان في كوسوفو من المسلمين الألبان الذين يعيشون حالة من الاحكام العرفية منذ نحو أربعة أعوام وهمْ في حالة ذعر من سياسة «التطهير العرقي» التي تمارسها القوات الصربية وأنها ستؤدي إلى مقتل عشرات الألوف منهم.

٤ - سلوفينيا :

يعيش فيها مليونا شخص، يشعرون بأنهم أفضل حالا من جيرانهم في الجمهوريات الأخرى. فأهالي سلوفينيا يحتقرون الكروات. ويناصبهم الصربيون العداء. والسبب في شعورهم

بالتميز هو أن معظم الاستثمارات الغربية في يوغسلافيا تتركز في سلوفينيا التي تعرف باسم «سويسرا البلقان» مما يثير حفيظة الصرب في المقام الأول.

٥ - كرواتيا:

شعب مستقل من الكاثوليك يحتقرون الصربيين بشكل تقليدي وينظرون إليهم على أنهم «بدائيو البلقان» وقد تحولت المشاعر بين الجانبين إلى الكراهية خلال الحرب العالمية الثانية عندما اتهم كل من الطرفين الآخر بالعمالة لصالح الألمان.

كما يكره الكروات الايطاليين الذين احتلوا جزءا من كرواتيا حتى عام ١٨٧٨ وقد ضحى الكروات باقتصادهم لصالح الحرب وتمويلها، وقاموا بتأميم صناعاتهم الثقيلة. وتم ضخ جميع الأموال الناتجة عن الصناعة لصالح آلة الحرب ولتمويل عملية فصل البوسنة والهرسك عن الصرب.

٦ - المجر:

كانت تعد في السابق جزءا من امبراطورية هابسبورج الضخمة، وقد انتزعت من الأتراك في نهاية القرن السابع عشر، واصبحت جمهورية في نهاية الحرب العالمية الأولى.

وتناصب المجر جمهورية الصرب العداء الشديد. وهي مؤيدة للكروات بقوة على الرغم من أنها تستقبل اللاجئين من الصرب والمسلمين على حد سواء. إذ تأوي ٥٠ ألف لاجيء. ويمكن أن

تتحرك المجر لمواجهة الصرب غير أنها تخشى الرد الانتقامي ضد المجريين البالغ تعدادهم ٤٠٠ ألف نسمة في اقليم فوريغودينا الذي ضمته الصرب اليها .

٧ - ألبانيا :

هذه الدولة ذات اغلبية مسلمة وتعاني من أزمة مالية طاحنة وهي ليست في الوقت نفسه بالدولة التي تشن حربا ضد احد . ولكنها يمكن أن تتدخل لحماية المسلمين الألبان في اقليم كوسوفو إذا تعرض لهم الصربيون بسوء .

وألبانيا من الدول المعزولة تاريخيا وهي تخشى جيرانها نظرا لفارق الثروة بينها وبينهم . وعلى الرغم من قيام حكومة ديمقراطية في العاصمة تيرانا بعد انهاء الحكم الشيوعي فيها فإنها تبدو مستعدة فقط للدفاع عن نفسها ونظرا لمحدودية امكانياتها العسكرية .

٨ - رومانيا :

تعد رومانيا دولة الصراعات والحروب في المنطقة . فقد حارب الرومان لمدة ٣٠٠ عام ضد النمساويين والمجريين الذين كانت امبراطوريتهم تسود انحاء أوروبا في فترة من الفترات .

ومثل اليونانيين ، فإنهم يحاولون اختراق العقوبات الدولية المفروضة على الصرب عن طريق تقديم المساعدات المتنوعة لها .

وتتجاور حدود رومانيا مع الصرب وتصل إلى البحر الأسود . وإذا غزى الصرب إقليم كوسوفو - كما هو معلن عنهم - وانضمت

إليهم رومانيا وفق المخطط المرسوم والمتوقع - فستصبح هناك جبهتان للقتال ستفتحان في البلقان احداهما من ناحية الجبال الرومانية والأخرى من جهة ألبانيا، وهذا احتمال قائم!! .

٩ - بلغاريا :

أهلها أعداء تاريخيون للأتراك، ويعود الصراع بين الجانبين إلى عام ١٣٩٥ الذي تم فيه الغزو التركي لبلغاريا. وفي عام ١٩٨٩ طردت بلغاريا نحو ٣٠٠ ألف شخص من ذوي القومية التركية في واحدة من اسوأ عمليات الطرد والابعاد الجماعي ذات الابعاد العنصرية في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية.

والوضع في بلغاريا مستتر، ولكن نشوب صراعات واعمال عنف مفاجئة أمر ليس مستبعدا. والبلغار فقراء للغاية ويكرهون الصرب باعتبارهم خطرا محتملا يهدد تفجير المنطقة بأسرها وتحاول بلغاريا الحصول على المزيد من القروض من صندوق النقد الدولي.

وتهتم بلغاريا بألا يسيطر الصربيون واليونانيون على مقدونيا. فقد حاربوا ثلاث مرات خلال القرن الحالي للسيطرة على مقدونيا وخسروا في كل مرة من هذه المرات الثلاث.

١٠ - اليونان :

بلاد الاغريق ذات أغلبية من الأرثوذكس ولكنها تورطت في عداوة مع الأتراك منذ أن سيطر عليهم. العثمانيون في العصور الوسطى. وقد استقلت اليونان مجددا في عام ١٨٢٧ . وتضع

اليونان عينيها حاليا على مقدونيا وجنوبي ألبانيا، ولكن هذا قد يثير حفيظة تركيا ويدفعها إلى الرد بقوة مما قد يشعل النيران في المنطقة بالكامل.

واليونانيون هم اقوى حلفاء الصرب وقد ساعدوهم لمواجهة العقوبات الأوروبية وسمحوا بتمرير الامدادات البترولية إلى الصرب. وتحسد الدول الأخرى المجاورة لليونان على ثرواتها الكبيرة نسبيا.

١١ - النمسا :

يناصب النمساويون الصرب العداء منذ مشاركة الصرب في اشعال الحرب العالمية الأولى عن طريق اغتيال ولي عهد النمسا الارشيدوق فرديناند في سراييفو. ويرغب النمساويون في الانتقام والثأر لهذا الحادث. ولذا فهم سيتدخلون ضد الصرب في حالة التحرك العسكري. ويوجد في النمسا حاليا ٥٠ ألف لاجيء ولكنها لاترغب في استضافة المزيد من اللاجئين. وتهتم النمسا أساسا بتهدئة الأوضاع والعمل على استقرارها في المنطقة حرصا على عدم انتشار العنف في غربي أوروبا[١].

١٢ - مقدونيا :

كان إنشاء جمهورية مقدونيا في إطار يوغسلافيا قد جاء نتيجة قرار «تيتو» بعد الحرب العالمية الثانية لتكون جسرا بين يوغسلافيا

---

(١) العالم اليوم ٧/ ٩/ ١٩٩٢م.

وبلغاريا وأكدت حكومة «تيتو» الشخصية المقدونية بعدة إجراءات، منها تأسيس قسم اللغة المقدونية في كلية الفلسفة بالعاصمة «سكوبيا» ثم تأسيس معهد اللغة المقدونية عام ١٩٥٣م، وقرار حكومي باستقلال الكنيسة الأرثوذكسية المقدونية عن الكنيسة الأرثوذكسية الصربية، ثم قرار بإحياء أسقفية «أوهريد» عام ١٩٥٨م وفي ٤ فبراير ١٩٩٠م تأسست حركة باسم حركة العمل لكل مقدونيا وقامت مظاهرات في «سكوبيا» اشترك فيها ١٢٠ ألف مقدوني وكان ذلك أثناء زيارة رئيس وزراء اليونان «ميسوتاكيس» لبلغراد فبراير ١٩٩٠م واتضح عقب ذلك أن يوغسلافيا واليونان لاتريدان الاستقلال لمقدونيا، لأن اسم جمهورية مقدونيا - إذا استقلت - سيجعل هناك مشكلات لليونان في إقليم مقدونيا اليوناني خاصة أن الاسكندر الأكبر مقدوني مولود في جمهورية مقدونيا الحالية. وأخيرا استقلت مقدونيا عن الاتحاد اليوغسلافي ولم يتغير اسمها.

الجدير بالذكر هنا أن عدد سكان جمهورية مقدونيا الجديدة ٢ مليون نسمة معظمهم من المقدونيين وعدد المسلمين فيها ٥٠٪ من مجموع السكان وهي نسبة مهمة وعالية.

لقد استقلت مقدونيا في ٨ ابريل ١٩٩٣م واعترفت بها الأمم المتحدة وأصبحت جمهورية مقدونيا هي العضو رقم ١٨١ في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

الفصل الثاني

- العداء للاسلام ..
- الأندلس والبوسنة بين الأمس واليوم
- صليبية متجددة ..
- سقوط الاقنعة..

العداء للاسلام

اعتنقت شعوب البلقان المسيحية منذ فترة طويلة وفي بداية القرن الحادي عشر الميلادي (١٠٥٠) حدث انقسام في الكنيسة بين الكاثوليك والأرثوذكس، فاتجه الصرب وسكان الجبل الأسود إلى الأرثوذكسية، بينما اتجه الكروات وأهل سلوفينيا إلى الكاثوليكية، أما شعب البوسنة والهرسك فقد اعتنق مذهبا دينيا جديدا أطلق عليه إسم «المذهب البوغولي»، ومن أهم مبادئه مناداته بالتوحيد، وقد اعتبر الفاتيكان ذلك انشقاقا على المسيحية، وظل أهل البوسنة منذئذ في عداء مع المسيحيين، سواء منهم الكاثوليك الذين تؤيدهم الفاتيكان، أو الأرثوذكس الذين تؤيدهم الكنيسة الروسية.

وفي منتصف القرن الخامس عشر فتح العثمانيون أقاليم البلقان ماعدا الجبل الأسود لحماية أنفسهم من الحملات الصليبية الأوروبية آنئذ، وقد أقبل أهل البوسنة والهرسك على الاسلام إقبالا كبيرا وبإيمان ويقين لما يلي:

أولا: للتقارب بين الاسلام والمذهب البوغولي الداعي إلى التوحيد الذي كانوا يعتنقوه.

ثانيا: لحمايتهم من الاضطهاد الذي تعرضوا له من جهة النصارى الكاثوليك والأرثوذكس على السواء.

ثالثا: لاختلافهم عن سائر أهالي الأقاليم الأخرى، حيث أنهم من سلالة الصقالبة.

وقد شهدت منطقة البلقان لفترات طويلة صراعا مسيحيا بين الصرب الأرثوذكس والكروات الكاثوليك وقد خبا هذا الصراع في ظل حكم «تيتو» الذي حرص - وهو كرواتي كاثوليكي - على إرضاء الطائفتين على حساب المسلمين كما أرضى بذلك الاتحاد السوفيتي حينئذ، حيث أن أكبر جمهورياته وهي روسيا غالبيتها من الأرثوذكس، كما أن مقر أسقف الكنيسة الشرقية يقع في موسكو، ومن ناحية أخرى إرضاء الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان، وقد رضي الاتحاد السوفيتي والغرب بهذه المعاملة، فيوغسلافيا الاتحادية ابان حكم الجنرال جوزيف تيتو كانت ضمن المنظومة الشيوعية اسما كما انها لم تمارس اضطهادا من أي نوع ضد المسيحية بطائفتيها، واقتصر اضطهادها على المسلمين، حيث زُجَّ بهم في السجون وأغلقت مساجدهم ومدارسهم وصودرت أوقافهم حتى لم يبق في بلغراد العاصمة غير مسجد واحد، أما الكنائس فظلت تمارس نشاطها، بل إنها تجاوزت المحظور في النظم الشيوعية، حيث أسست « الحزب الماريني » وهو حزب تنصيري يدعو إلى التثليث بين المسلمين.

وما ان انفرط عقد الاتحاد اليوغسلافي حتى تجدد صراع الهيمنة بين الكاثوليك والأرثوذكس ثم ما لبث أن تحول إلى حرب طاحنة، ولكن الغرب النصراني ركز جهوده على تسوية هذا النزاع وإعادة ترتيب البيت المسيحي، وتقديم المسلمين ليكونوا كبش فداء هذه التسوية.

وقد توقع الرئيس البوسني «علي عزت بيجوفيتش» هذه المؤامرة

الصليبية عند إعلان استقلال البوسنة والهرسك وحاول أن يقطع عليها الطريق فغير اسم الحزب الاسلامي الذي يرأسه إلى الحزب الديمقراطي وهو الذي فاز بالأغلبية في انتخابات البوسنة مما أثار حفيظة الحزبين المتنافسين معه، وهما القومي الصربي والكرواتي، وحرص «علي عزت» في مباديء إعلان الجمهورية أن يشير أنها علمانية، لأنه يعلم أن الغرب لن يسمح بدولة مسلمة في وسط أوروبا تلاصق العالم الصليبي كما صرح قادته مؤخرا.

ويبدو أن جهود الرئيس «علي عزت» لم يكتب لها النجاح، فتاريخه في الجهاد الاسلامي طوال العهد الشيوعي معروف جيدا، لذلك شرع الغرب في تنفيذ مؤامرة اغتيال البوسنة.

فقد تم اجتماع ١٩ يناير ١٩٩٤م بين الرئيس الصربي «سلوبودان ميلوسيفتش»، والكرواتي «فرانيو تودجمان» ينص على تطبيع العلاقات بينهما والتنسيق لاقتسام ارض البوسنة والهرسك.

ماذا حدث في أثينا :

في حفل حاشد، وفي جو من المواعظ الدينية والسياسية في «أثينا» العاصمة اليونانية إنطلقت العبارات النارية التالية: (ريتشارد قلب الأسد .. مازال حيا)!! (يجب إقامة قوس فولاذي «أرثوذكسي» لمواجهة الحية الاسلامية)!! (يجب تشكيل قوات «اشكناز» لتكون طليعة للنصرانية لمواجهة الاسلام).

والذي نقلها وعلق عليها ليس عربيا أو مسلما، ولكنه الكاتب الروائي الأسباني «خوان غويتيسولو» في صحيفة «ليبراسيون»

الفرنسية ٢٧ يوليو ١٩٩٣م، والذي أشرف على تلك الاحتفالات ونظمها رئيس أساقفة «الكنيسة الأرثوذكسية الهيلينية» وكان الاهتمام منصبا على الوجود الاسلامي في البلقان، وكانت حرب البوسنة بؤرة النشاط والاهتمام من قبل كل القوى المعادية لأي حضور إسلامي سواء في البلقان أو في أوروبا كلها حيث تعيش أقلية تركية ترمز إلى ذلك «البعبع التاريخي» الذي ظل في صراع مع أوروبا حتى سقط سقطته الأخيرة في الحرب العالمية الأولى ولم ينهض بعدها.

إن المؤامرة على المسلمين في البوسنة هي اليوم في أشد حالاتها خطورة وفتكا في ظل نظرة أوروبية تدعى «العلمانية»، بينما هي في حقيقة الأمر «صليبية حتى النخاع»، حيث اتفقت هذه النظم الأوروبية على منع قيام دولة البوسنة والهرسك بحجة أنها قد تكون مهدا للمتطرفين المسلمين والحقيقة التي لاتخفى على أحد أن الغرب المسيحي مازال يعيش في داخله الحقد الدفين على الاسلام.

الأندلس والبوسنة .. بين الأمس واليوم

يطلق لفظ «الموريسكيين» - بدون تفصيل لغوي أو اصطلاحي - على مسلمي الأندلس الذين خضعوا للحكم الأسباني بعد استيلائه على آخر معاقل المسلمين مدينة غرناطة في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، ومارس فيهم الحكم الجديد التنكيل والتقتيل بعد محاولة فرض النصرانية عليهم ورفضهم ذلك، وانتهى الأمر بمحاكم التفتيش، حيث لم يبق مسلم بعدها في الأندلس.

إن سقوط الأندلس وإخراج أهله منه ومأساة من بقوا فيه لأكثر من قرن تالٍ وعُرفوا بـ«الموريسكيين».

وإذا كان ذلك قد تم في أقصى غرب أوروبا وضد شعب كل ذنبه أنه مسلم، فإن ما يحدث اليوم في شرق أوروبا ضد مسلمي البوسنة والهرسك هو الشيء نفسه، ولكن بعد أربعة قرون من حدوث الجريمة الأوروبية الأولى، وللسبب نفسه وهو اختلاف الدين، ولم يشفع لمسلمي البوسنة تاريخهم وعرقهم الأوروبي فأعمل الكروات والصرب السلاح فيهم.

إن المأساة المعاصرة هي الوجه الآخر للمأساة السابقة، فالأسباب واحدة وهي القضاء على الاسلام في أوروبا، والقوى التي قامت بالدور وتنفيذه أوروبية في السابق واللاحق.

وإذا كانت أوروبا قد ساهمت بمختلف قواها في سقوط

الأندلس والقضاء على أهله المسلمين وتنصيرهم القسري، فإن أوروبا اليوم تشهد مصرع البوسنة والهرسك.

إن أبناء اليوم يدرسون في مقرراتهم التاريخية مأساة «الموريسكيين» في الأندلس، وأخشى أن يأتي زمن علينا غير بعيد تدرس فيه أجيالنا القادمة فصول مأساة موريسكيين جدد في البوسنة والهرسك، ونقول: كنا هناك، ولنا فردوس آخر مفقود.

إن الزحف الأوروبي من الشمال إلى الجنوب مستمر على حساب عالم الاسلام، وفي كل عصر نشهد مرحلة منه، ومراحل الحروب الصليبية والاستعمار والغزو الثقافي على تباعدها أحد ألوان ذلك الزحف ووجوهه والسنوات القادمة تحمل من ذلك ما يناسبها[1].

إن ماجرى ويجري لمسلمي البوسنة والهرسك منذ ربيع عام ١٩٩٢م ما هو إلا حلقة في مسلسل للإبادة يتعرضون له منذ افول نجم الدولة العثمانية.

ونعرض في هذا السياق بعض الآراء - التي نقلها الاستاذ فهمي هويدي[2] - لخليط من الأدباء والباحثين من أساتذة جامعة سراييفو وكليةالدراسات الاسلامية بها:

قال أحدهم: منذ سنة ١٧١١ التي وقعت فيها مذبحة المسلمين في الجبل الأسود وحتى الآن وعملية تصفية المسلمين وهدم مساجدهم مستمرة، فلا جديد في ممارسات الصرب، الجديد فقط

(١)د. سليمان الرحيلي - المسلمون ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٣م.

(٢)الأهرام - ١٤/ ٩/ ١٩٩٣م.

في الدرجة والصدى، فمدى الإبادة والمهانة بلغ في حرب ١٩٩٢ حدا أكثر شراسة مما سبق، فلم تحدث في تاريخ الجرائم الصربية بحق المسلمين عمليات اغتصاب بالصورة التي تكشفت الآن، ولا اتسع نطاق الإبادة الثقافية على النحو الحاصل الآن، حيث هدم أكثر من ٧٠٠ مسجد، بعضها له قيمته التاريخية العظيمة، وتعرضت مكتبة خسرو بك للقصف ٥٠ مرة، بينما أحرقت تماما مكتبة سراييفو التي تضم أكثر من خمسة آلاف مخطوط ثمين تمثل ذاكرة شعب البوسنة . . تحولت كلها إلى رماد.

ذلك عن الجديد في المدى، أما الصدى فليس خافيا على أحد. إذ أُرتكبت هذه الجرائم التاريخية بعلم المجتمع الدولي، وبتواطؤ بعض الدول الغربية، وبتستر البعض الآخر!! وبشهادة أمين عام الأمم المتحدة «بطرس غالي» وهو ارثوذكسي المذهب.

إن الصرب ليسوا متدينين عموما، ولكنهم يستغلون المشاعر الدينية إلى أبعد مدى، غلاة القوميين منهم يعتبرون «الصربية» وكأنها دين، فهم يقولون: إن «الصربية سماوية» وأن الصرب هم أبناء الله!!، ولكنهم يستغلون الكنيسة الأرثوذكسية لتحقيق مآربهم، حتى أصبحت قيادات تلك الكنيسة هي التي تدعمهم وتباركهم وتجمع لهم التبرعات في صربيا واليونان وروسيا، ودليل عدم اكترائهم بالدين أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ وإلى سنة ١٩٩٢ بنى المسلمون نحو ألف مسجد في البوسنة، أما الصرب الأرثوذكس فلم يبنوا أكثر من مائة كنيسة، وكذلك فعل الكروات الكاثوليك.

حقيقة الأمر إذن أن الصرب يكرهون الاسلام والمسلمين بأكثر مما يحبون الأرثوذكسية كدين، فضلا عن أن الدين عندهم تداخل مع القومية حتى أصبح هوية أكثر منه عقيدة، وهذا يفسر لنا لماذا هم يتحدثون عن الأرثوذكسية ولا يعنون بتعاليمها، ومن زاوية أن الحروب الصليبية التي تتابعت في القرنين الحادي والثاني عشر استخدمت الدين كغطاء لأهداف وأطماع أخرى اقتصادية بالدرجة الأولى، وباسمه ذُبح عشرات الآلاف من المسلمين، فإننا نستطيع أن نعتبر الحاصل الآن من قبيل الحروب الصليبية.

إن شعور المسلمين بالجرح والمهانة الآن أكبر وأعمق من أي مرة سابقة، فثمة وعي أشد الآن بحقوق الإنسان وكرامته، فضلا عن أن الموقف المخزي للدول الغربية التي تكفلت بتكبيل المسلمين ومنعهم من ممارسة حقهم المشروع في الدفاع عن أنفسهم، هذا الموقف ضاعف من شعور المسلمين بالمرارة وملأهم بالسخط والغضب العظيمين.

إن بين مسلمي البوسنة ٧٠٠ ألف زواج مختلط، وهو ما يعني أن ثلث المسلمين متزوجون من الصرب والكروات، وأكثر تلك الأسر تصدعت الآن نتيجة للشروخ النفسية التي سببتها الحرب، من ناحية ثانية فقد لوحظ في الانتخابات التي جرت عام ١٩٩١م أن الصرب أعطوا للحزب الذي يمثلهم، وكذلك الكروات، أما المسلمون فإن نسبة ٤٠٪ منهم أعطوا أصواتهم للأحزاب اليسارية القائمة، ولم يصوتوا لصالح حزب العمل الديمقراطي «الاسلامي»، وكانت نتيجة ذلك أن خسر المسلمون في مناطق عديدة تمتعوا فيها بأغلبية كبيرة،

الأمر الذي سلم البلديات إلى الصرب والكروات، وكان لذلك الوضع آثاره المأساوية حينما قامت الحرب لاحقا.

أمثال هذه التصرفات موضع مراجعة ونقد شديدين الآن، حيث استقر في يقين المسلمين أن التعايش الذي سعوا إليه وتمسكوا طويلا به كان وهما وسرابا، بل كان خطأ جسيما وفاحشا ينبغي ألا يتكرر، من ثم فالشك كبير في أن المسلمين يمكن أن يعودوا إلى ما كانوا عليه في الماضي . . فقد أصبح يفصل بينهم وبين الصرب والكروات بحر من الدم مليء بجثث المسلمين وأشلائهم].

برلمان صربيا يدعو للمذابح:

إن البرنامج القومي الصربي الذي تم إعلانه عام ١٨٤٤ تجدد مؤخرا في برلمان صربيا، حيث صدر مرسوم يدعو إلى تطهير سنجاق والبوسنة والهرسك وكوسوفو من المسلمين، ولذلك فإن الادعاء بأن المعارك ضد المسلمين في البوسنة هي من قبل متطرفين صربيين غير صحيح، لأنها تجد سندا قانونيا من الهيئة البرلمانية لصربيا.

وتُدرَّس في المدارس الصربية الابتدائية ملحمة شعرية باسم «إكليل الجبل» كتبها أرثوذكسي متعصب تقول: (سلك المسلمون طريق الشيطان، دنسوا الأرض، ملأوها رجسا، فلنعد للأرض خصوبتها، ولنطهرها من تلك الأوساخ، ولنبصق على القرآن، وليطير رأس كل من يؤمنون بدين الكلاب ويتبع محمدا، فليذهب غير مأسوف عليه)!!

وكل من يرتكب المذابح الآن درس تلك الملحمة وهو طفل وتم إشباعه بمنطق الجريمة وهو شاب من خلال قساوسة الكنيسة، فقد ألقـوا في روعـهـم أن الذبح فـرض إلهي للذين عـذبهم الأتراك والعثمانيون وانتقاما لهم!!

وقد مضت قيادة صربيا في زرع هذا الحقد الذي كان ثمرته هذه المرة المذابح البشعة التي تبرأ منها الوحوش في الأدغال، حتى كرواتيا عندما استقلت عن يوغسلافيا أعطت جنسيتها للكاثوليك المقيمين فيها، أما سكانها من المسلمين الذين يحملون الجنسية اليوغسلافية فاعتبرتهم أتراكا أجانب ولم توافق على إعطائهم الجنسية إلا أن يقروا بأنهم كروات، وكروات تعني عندهم الكاثوليكية!!

بمعنى أوضح انها تطلب منهم أن يتنصروا ويتركوا دينهم الاسلام فهل هناك ظلم واضطهاد أكثر قسوة من هذا؟!

صليبية متجددة

عقد رئيس اساقفة الكنيسة الأرثوذكسية الهيلينية في أثينا «مونسينور سرافيد» في يونيو ١٩٩٣ حشدا كبيرا للمواعظ الدينية والسياسية لتعضيد الارهابي الصربي «رادوفان كاراديتش»[١]، وشاركت فيه الأحزاب السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وتصدرت المنظمات النقابية اليونانية بكاملها منصة الحفل، وألقى المتحدثون كلمات حماسية هاجموا فيها «التوسع الاسلامي في البلقان»!! وكيف يمكن مواجهته؟! وطمأن أحد الخطباء الحضور بقوله: «يجب إقامة قوس فولاذي أرثوذكسي لمواجهة الحية الاسلامية»، أي أنه يجب تشكيل قوات «شكناز» لتكون طليعة المسيحية في مواجهة الاسلام.

والدعاية التي يطلقها تليفزيون «بلجراد» و«بالي» – عاصمة الصرب في البوسنة – تتضمن مشاهد غنائية ساذجة: فتاة صربية ترتدي الزي الشعبي الصربي تنحني بإثارة لتقبل مدفعا يطلق حممه على أطفال ونساء سرايفو.

حوار كاشف :

(المسلمون الأكثر انفتاحا على الآخرين، والمتحررون، بل والعلمانيون منهم يُعتبرون بالنسبة للأوروبيين متطرفين).. قال

---

(١) صحيفة «اليراسيون» الفرنسية بتاريخ ٢٧/ ٧/ ١٩٩٣م.

لي[1] هذه الكلمات رئيس أئمة البوسنة الشيخ مصطفى زيريتش، عندما التقيته في مكتبه بمدرسة «غازه حزريف»، كان يلتف بعباءته، ويلبس على رأسه طاقية بيضاء ناصعة يلتف حولها شريط أحمر على مستوى الجبهة، ويحيط به جو من المهابة والنبل البهيين، كأنه شخصية تاريخية.

تحدثّت إليه أكثر من نصف ساعة دون حاجة إلى مترجم فلغته الانجليزية المرصعة بألفاظ عربية كانت رائعة ودون أن أطلب منه رسم لي صورة رشيقة لحياته الشخصية، فقد درس الفقه والعلوم الدينية في جامعة الأزهر في القاهرة ثم عمل إماما لمسجد شيكاغو الرئيسي في الولايات المتحدة الامريكية.

قال: (أنا الوحيد من أعضاء هيئة علماء الدين المسلمين في البوسنة الذي درس في الشرق الأوسط والغرب معا. وكنت حتى العام الماضي أعتقد بقوة في القيم الانسانية لأوروبا وبأفكارها الديمقراطية، كنت أؤمن بالاعلان العالمي لحقوق الانسان وحرية العقيدة في دولها العلمانية، نعم، وكنت أصدق المعاني النبيلة التي تتضمنها دساتيرها، كان الشعب البوسني - جميع المسلمين وأكثرية الكروات والصرب - يؤمنون بكل هذا أيضا، صدقت أنني أعيش في دولة متعددة الأجناس والأديان، لكن منذ مايو ١٩٩٢م نضحي بحياتنا من أجل مباديء ميثاق الأمم المتحدة، لقد ماتوا دفاعا عن تلك المباديء ولم يبال بهم أحد.

لايستطيع الغرب في المستقبل أن يعلمنا دروسا أخلاقية، لقد

---

(١) خوان غويتيسولو - الحياة اللندنية ٢٩/٨/ ١٩٩٣م.

سمح لجلادي التطهير العرقي، الذين توسموا خطى النازي، بأن يغتصبوا ويقتلوا النساء والأطفال بانتظام وأن يقيموا معسكرات الاعتقال وأن يحولوا بكل برود ماضينا إلى رماد، أنتم الذين تفاخرون بالانتصار على الفاشية، ألم تنتبهوا بعد إلى أنها عادت من جديد وتشعل الحرائق في داخل بيوتكم؟ هل أصبتم بالعمى والطرش فلا ترون ولاتسمعون الوحشية التي تدمر سراييفو؟

والمساعدات الانسانية !!

بماذا يفيد تغذيتنا بالقطارة إذا كانوا يتركونهم يذبحوننا؟

وفكرة التهديد الاسلامي لايشيعها الصرب فقط، بل هناك اكثر من سياسي غربي يعد استراتيجيته الخاصة لمواجهتها!!

إن جوهر المشكلة يكمن هناك لأن كثيرين من الأوروبيين مازالوا يرفعون راية المواجهة التاريخية بين المسيحية والاسلام. وأشباح كوابيس الماضي لاتزال تجثم على وعيهم. والشكناز ينتهزون الفرصة فيوقظون الرعب الكامن ويحيون روح الصليبية ويعلنون أنفسهم أبطال أوروبا في مواجهة «الأتراك»، كل هذا كان يمكن أن يكون مضحكا لولا أن الأمر بالنسبة إلينا الآن أصبح مسألة موت أو حياة.

إن الغرب يعتقد أنه يمتلك زمام الحقيقة والأخلاق والاستقامة لكن سياسته تكشف أيضا هذا الادعاء يوميا، فالواقع أن الغرب يريد أن يفرض سيطرته السياسية والاقتصادية على جميع الشعوب المسلمة وأيضا على كل ما يسمى بالعالم الثالث عموما يحاول بكل ما يملك من وسائل أن يمنعنا من أن نتحد، يريد أن يقنعنا بعدم

قدرتنا على حل مشكلاتنا دون الاستماع إلى نصائحه ومساعدته، إنه يعرف تفوقه التكنولوجي والاقتصادي والعسكري جيدا، لكنه يخشى قوتنا الروحية التي يفتقر إليها، وهو يعرف أنه يفتقر إلى هذه القوة الروحية). انتهى كلام الشيخ مصطفى.

سقوط الأقنعة

عالمنا المعاصر مليء بالكثير من الصراعات والمآسي الرهيبة إلا أن مأساة البوسنة والهرسك تظل هي المأساة الأكبر والأفظع والأشنع على مستوى العالم كله، بل وتعتبر الوصمة الكبرى على جبين أوروبا والغرب عموما، واسوأ وأنكى ثمار النظام العالمي الجديد!!

لقد كادت الممارسات والجرائم الصربية والكرواتية الرهيبة ضد مسلمي البوسنة تزيد على كل ما عرفته البشرية في تاريخها الطويل من مذابح وحروب همجية. لقد سجلت الجرائم المرتكبة ضد المسلمين مواقف اسوأ مما اقترفته الصليبية في الشام ومن محاكم التفتيش في الأندلس، والتتار أصحاب التاريخ الدموي الرهيب.

واخيرا وليس آخرا.. سقطت جميع الأقنعة نهائيا، كما سقط برقع الحياء وانكشفت النوايا بشكل سافر، وانكشف الوجه القبيح ليس للصرب والكروات فقط، بل وأيضا للغرب ومنظماته الدولية وفي مقدمتها مجلس الأمن الذي رفض حتى أن يوافق على رفع الحظر عن الأسلحة لمسلمي البوسنة العزل المعتدى عليهم بما لايتيح لهم مجرد الدفاع عما بقي منهم ومن أرضهم السليبة، وبما يتيح لقوى الصرب والكروات المتحالفة المدججين بالسلاح أن تواصل حربها الوحشية لإبادة المسلمين.

شواهد الحروب الصليبية :

ما من يوم يمر إلا وتؤكد لنا وقائعه أننا بصدد حروب صليبية جديدة مخططة ومدبرة على مختلف الأصعدة، والشواهد على ذلك كثيرة، منها :

كشف أحد القساوسة الأمريكيين عن أن مذابح الصرب ضد المسلمين في البوسنة والهرسك تعد مذابح مجنونة، مؤكدا أن هذه الحرب ليست حربا عنصرية، بل هي حرب دينية، وقال هذا القس الأمريكي واسمه جورج جروسي في مقال له بصحيفة «التورنتستار» نشرته في ٣١/ ٣/ ١٩٩٣ تحت عنوان «بعد أن جفت منابع الحب في النصرانية تحولت إلى الشر» : (إن هجمة الجيش الصربي ضد المسلمين في البوسنة قد تحولت إلى مذبحة مجنونة، فسراييفو عاصمة هذه المنطقة على وشك السقوط، مما ينبيء بوقوع حمام دم فيها، أنا أحس أني لست كفئا لبحث القضايا الاستراتيجية والسياسية لهذا الصراع، إلا أنني - والكلام لازال للقس - أعتقد أن الصراع على البوسنة يهدد جوهر الكيان النصراني في الغرب، فالمسلمون في البوسنة هم من السلاف، تماما كالصرب، نفس الجنس ولون الشعر والعينين، إنها ليست حربا عنصرية، بل هي حرب دينية.

ويضيف قائلا : وكما كان منفذو الجرائم الألمانية نصارى معمدين، كذلك أعتقد أن الصرب إذ يقتلون أو يغتصبون ويجيعون المسلمين هم أيضا نصارى معمدين، وهكذا فإن اعتداء الصرب على ضحايا هم المسلمين هو في الحقيقة مظهر الشر الأسود في الحضارة النصرانية.

وهذا يذكرنا بمدينة أخرى سقطت تحت سطو الصليبية في ١٥ يوليو ١٠٩٩، إنها مدينة القدس حيث يقول المؤرخون: إن ملابس الصليبية غرقت في بحر من الدماء فلم ينج من سكان المدينة إلا حاكمها وأسرته وقتل المسلمون واليهود وهم يصلون في معابدهم. ونفس الشيء يحدث في البوسنة). انتهت شهادة القس، ولكن لم تنته المذبحة.

في اسوأ استغلال لحاجة المسلمين اللاجئين في بعض الدول الأوربية رفع الغرب العلماني شعاره القديم المتجدد: إرفع عنك الاسلام، نرفع عنك الجوع والفقر والمرض.. حيث أن معظم المؤسسات والمنظمات الغربية التي تزعم انها انسانية، وخيرية!! التي ترعى هؤلاء اللاجئين لها علاقة مباشرة ومنظمة بالكنيسة هناك، وأن معظم الأنشطة التي يتم تنظيمها للاجئين، والأطفال منهم خصوصا، مثل الحفلات والمخيمات ودور الألعاب ترعاها وتشارك فيها الكنيسة بشكل سافر، فخلال إقامة المخيمات تقام للأطفال كل الطقوس الكنسية من تراتيل وأناشيد وتعليم إشارات الصليب وغيرها، كما يتولى «الكهان» وهم يرتدون لباسهم الكنسي الرسمي تقديم هدايا وألعاب وقطع الحلوى للأطفال خلال فترات الراحة في قاعات الألعاب.

وما يؤكد على هذه النوايا التنصيرية أن بعض المسلمين - على المستوى الفردي - المقيمين في هذه الدول الأوروبية تقدم بطلب رعاية أطفال من هؤلاء اللاجئين، ولكن مطالبهم رفضت!!

: وزير الدفاع الفرنسي يجتمع بمسؤولين عسكريين في أسبانيا

وإيطاليا ويقول أنه بصدد تكوين جيش طواريء من الدول الثلاث لمواجهة الأصولية الاسلامية التي تهدد الحضارة الأوروبية على حد قوله!!.

ألا يرى الوزير الفرنسي ما يفعله التحالف الأوروبي الصربي بالمسلمين في البوسنة وجريمة هذا التحالف الذي يتألف من فرنسا وانجلترا وروسيا واليونان ورومانيا والفاتيكان والذي تدعمه أمريكا وسكرتير الأمم المتحدة بطرس غالي وتواطؤه المكشوف ان الزعم بوجود متطرفين في البوسنة زعم باطل إنما الحقيقة انها العودة إلى الله ثم تبقى تلك المظاهر الآثار الاسلامية ومكتبات ومآذن ينطلق منها صوت «الله أكبر»، وكانت هذه هي جريمتهم الوحيدة التي عوقبوا عليها.

وأرادوا خنق هذا الصوت وهدموا المآذن ودمروا المساجد ولكن الصوت ارتفع دويه، وصرخة الله أكبر جلجلت من الحناجر، والذين لم يكونوا متمسكين بالاسلام اصبحوا يحرصون على اسلامهم، ومن كان لايعرف القرآن أصبح يحتضن المصحف في صحوه ونومه.

إن فرنسا كبريطانيا تماما في عدائهما السافر للاسلام نقول ذلك مع الاسف الشديد رغم العلاقات الجيدة مع الدول الاسلامية والعربية والمصالح الاقتصادية الواسعة.

تزييف الوقائع :

عجبت أمرَّ العجب لأناس من بني جلدتنا ويتسمون بأسمائنا أن ينخدعوا بأراجيف الغرب بحيث ينفون عنه نزعته الصليبية السافرة

بالنسبة لموقفه من البوسنة، ويستدلون على صدق نظرتهم «الموضوعية!!» ببعض المظاهر:

- قوافل المساعدات الانسانية الوفيرة التي تمنح المسلمين - فيما تمنحه - لحم الخنزير والخمر ومشتقاتها، بحيث يُجبر المسلمون على مخالفة تعاليم دينهم تحت وطأة الجوع القاتل.

- استقالة مسؤولين أمريكيين وأوروبيين احتجاجا على الموقف الغربي المتخاذل في البوسنة، هذه الاستقالات بقدر ما هي تكريم لأصحابها - على المستوى الشخصي - بقدر ما هي إدانة واضحة للسياسة الغربية الجبانة التي استقالوا بسببها.

- إرسال الدول الغربية لقواتها - في إطار الأمم المتحدة - وفي إطار حلف الاطلسي لحفظ السلام في البوسنة وفرض حظر السلاح «على المسلمين فقط!!».

- تقاعس العالم العربي والاسلامي عن نصرة المنتمين لحضارته، فلماذا نلوم الغرب وهذا موقفنا؟ ونقول: إن تقاعس المسلمين عن نصرة إخوانهم لايصلح شاهدا على إضفاء الطابع الانساني على هذا الغرب، وفي نفس الوقت، فإن تواطؤ الغرب ضد البوسنة ليس عذرا لتقصير المسلمين.

- ولنا بعد ذلك أن نتساءل: لماذا استطاع الغرب إنهاء النزاع الصربي الكرواتي بين عشية وضحاها بعد إرسال اكثر من ١٤٠٠٠ جندي لهذا الغرض، بينما يترك البوسنة تنزف حتى آخر نقطة دم؟ وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]

العثمانيون في الذاكرة :

إن حرب الإبادة ضد مسلمي البوسنة ليست إلا إفرازا لشعور دفين بالانتقام ساد يوغسلافيا لما حدث فيها - حسب المزاعم الغربية أثناء الفتح العثماني - يطلقون عليه الغزو العثماني - والذي اكتسح أوروبا حتى وصل إلى قلب فيينا في فترات المد العثماني، إلا أن هذا الفتح عاد وتقوقع داخل مجموعة من البؤر المتناثرة، كانت إحداها البوسنة والهرسك، ولا يستطيع أحد أن يثبت أن العثمانيين قد أكرهوا أحدا على اعتناق الاسلام، ولكنه الحقد الصليبي الأعمى المتغلغل في النفوس منذ سالف القرون.

وفي إطار تلك الأحقاد وزع الحزب القومي الصربي شعارات في سراييفو وما حولها من مدن، تقول: «عودوا إلى حظيرة الرب حتى لا يسري عليكم الأمر المقدس». والخطاب هنا للمسلمين، وحظيرة الرب تعني النصرانية، أما الأمر المقدس فهو الذبح والقتل .. وكفى !!

الفصل الثالث

- سلام على الشرعية الدولية !!
- قوات الأمم المتحدة في البوسنة

سلام على الشرعية الدولية !!

نشأ ما يسمى بـ«منظمة الأمم المتحدة» وذراعها الطويلة «مجلس الأمن الدولي» على أنقاض «عصبة الأمم» وذلك على يد الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية والتي تمتعت بمقتضى ذلك بما يسمى بـ«حق الفيتو» والحجر على آراء الدول الأخرى.

وعلى مدى ما يناهز نصف قرن أصدرت هذه أكثر من ثمانمائة قرار بشأن القضايا والمشكلات الدولية، وقد حظيت قضية البوسنة والهرسك بنصيب وافر من هذه القرارات حتى جاوزت الثلاثين قرارا لم يطبق منها إلا قرار واحد تطبيقا جزئيا ألا وهو حظر السلاح عن مسلمي البوسنة وحدهم، حتى صدقت المقولة التي تقول: «إن الأمم المتحدة لاتزال مصرة إصرارا لا رجعة فيه على الدفاع المستميت عن البوسنة حتى آخر مسلم بوسنوي!!

ولنطلع على فقرات من أحد هذه القرارات - رقم ٨٢٠ لسنة ١٩٩٣م:

(إن مجلس الأمن إذ يعيد تأكيد جميع قراراته السابقة ذات الصلة بالموضوع، وإذ يعيد تأكيد الحاجة إلى تسوية سلمية دائمة توقع عليها الأطراف البوسنية الثلاثة جميعها، وإذ يعيد تأكيد سيادة جمهورية البوسنة والهرسك وسلامتها الاقليمية واستقلالها السياسي وإذ يؤكد مرة أخرى أن أي استيلاء على أرض بالقوة أو أي ممارسة لـ«التطهير العرقي» أمر غير مشروع وغير مقبول بالمرة، وإذ يصر

على تمكين جميع المشردين من العودة بسلام إلى ديارهم السابقة، وإذ يؤكد من جديد في هذا الصدد قراره - ٨٠٨ لسنة ١٩٩٢ - الذي قرر فيه إنشاء محكمة دولية من أجل مقاضاة الأشخاص المسؤولين عن الانتهاكات الجسيمة للقانون الانساني الدولي المرتكبة في أراضي يوغسلافيا سابقا منذ عام ١٩٩١ وطلب فيه إلى الأمين العام أن يقدم تقريرا في أقرب موعد ممكن، وإذ يساوره بالغ الجزع والقلق إزاء جسامة المحنة الانسانية لضحايا النزاع الأبرياء في جمهورية البوسنة والهرسك، وإذ يعرب عن إدانته لجميع الأنشطة التي تجري انتهاكا للقرارين ٧٥٧ و٧٨٧ لسنة ١٩٩٢، وإذ يساوره بالغ القلق إزاء موقف الطرف الصربي كما ذكر في الفقرات ١٧ و١٨ و١٩ من تقرير الأمين العام المؤرخ ٢٦ مارس ١٩٩٢، وإذ يشير إلى أحكام الفصل الثامن من ميثاق الأمم المتحدة.

١ - يثني على خطة السلم المتعلقة بالبوسنة والهرسك بالصيغة التي وافق عليها اثنان من الأطراف البوسنية - المسلمون والكروات.

٢- يأسف لأن الطرف الصربي لم يقبل بعد الاتفاق المتعلق بالترتيبات المؤقتة والخريطة المؤقتة للمقاطعات، ويدعو هذا الطرف إلى قبول خطة السلم بالكامل.

٣- يطالب بأن يواصل جميع الأطراف والجهات الأخرى المعنية التقيد بوقف إطلاق النار والامتناع من أي أعمال حربية أخرى.

٤- يطالب بأن تُحترم بالكامل حقوق قوة الحماية التابعة للأمم

المتحدة والوكالات الانسانية الدولية في الوصول بحرية ودون عائق إلى جميع المناطق من جمهورية البوسنة والهرسك وأن يتعاون أطراف النزاع وخاصة الطرف الصربي والجهات الأخرى المعنية تعاونا تاما معها والحرص على سلامة موظفيها.

٥- يدين مرة أخرى جميع انتهاكات القانون الانساني الدولي بما في ذلك بصفة خاصة «التطهير العرقي» واحتجاز النساء واغتصابهن بصورة جماعية منظمة، ويؤكد من جديد أن الذين يرتكبون هذه الأعمال أو يأمرون بارتكابها يعتبرون مسؤولين عن هذه الأعمال بصفة شخصية.

٦- يعيد تأكيد تأييده للمباديء التي تقضي بأن جميع الاعلانات أو الالتزامات التي تتم في ظل الحرب لاسيما تلك المتعلقة بالأراضي والممتلكات تعد لاغية وباطلة تماما وأن لجميع الأشخاص المشردين الحق في العودة بسلام إلى ديارهم السابقة وينبغي مساعدتهم في سبيل ذلك.

- وتصميما منه على تعزيز تنفيذ التدابير المفروضة بموجب قراراته السابقة ذات الصلة بالموضوع.

- وإذ يتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

- يقرر أن يُبقي هذه المسألة قيد نظره الفعلي!!)

وكان تصويت مجلس الأمن على هذا القرار على النحو التالي: تأييد ١٣ دولة - لا معارضة - امتناع دولتين.

صدر هذا القرار وضرب به الصرب - كما ضربوا بغيره من القرارات - عرض الحائط، حتى أصبحت هذه القرارات مجرد حبر على ورق، وقد أنهى مجلس الأمن هذا القرار بقوله: (تبقى هذه المسألة قيد نظره الفعلي).

لماذا لايوجد تنفيذ فعلي حتى الآن لقراري مجلس الأمن ٨٢٤، ٨٣٦ الداعيين لرفع الحصار عن مدن البوسنة؟، وما هي «المناطق الآمنة» التي قررتها الأمم المتحدة في البوسنة والتي تعرضت أكثر من غيرها للغارات الوحشية.

- ماذا حدث لمطالب مجلس الأمن الذي تضمنها القرار ٧٥٢ الداعي إلى إنسحاب الوحدات الصربية العسكرية وشبه العسكرية مع أسلحتها الثقيلة من البوسنة؟.

- لماذا لايوجد تنفيذ فعلي لقراري مجلس الأمن ٧٣٧، ٧٣٨ الخاصين بمراقبة الحدود بين صربيا والبوسنة واللذين يمنعان التدفق المستمر والمكثف للأسلحة والمعدات الحربية التي تصل إلى المعتدين الصرب والكروات.

لم يعد الأمر مقبولا أن يستمر فرض حظر الأسلحة على المسلمين في سياق قرارات وتعهدات لا تنفذ، وبذلك يمكن القول - والواقع شهيد على ذلك - أن الأمم المتحدة تعد شريكا في تدمير شعب البوسنة.

قوات الأمم المتحدة في البوسنة

لقد تطايرت أخبار ووقائع يندى لها جبين الانسانية تكشف جانبا من المأساة الفظيعة التي حلت بشعب البوسنة المنكوب بسبب قوات الأمم المتحدة وكلها تجمع وتؤكد على انعدام الأخلاق لدى العديد من وحدات الأمم المتحدة، الأمر الذي أضاف بلاءً جديدا وعبئا ثقيلا على عاتق مسلمي البوسنة . . وهذه بعض الوقائع :

- فاحت رائحة مشاركة بعض وحدات وقيادات الأمم المتحدة - خاصة الوحدات الأوكرانية - في اغتصاب النساء المسلمات، فضلا عن التواطؤ مع الصرب في سبيل ذلك، بل تصل فداحة الجرم إلى حد مشاركة المسؤول الأول عن حماية السلم والأمن الدوليين في البوسنة في عمليات الاغتصاب، إنه قائد القوات الدولية في سراييفو، الجنرال «ماكنزي» الكندي الجنسية، وتملك الحكومة البوسنية العديد من الأدلة على ارتكاب هذه الجريمة النكراء، ولذلك طالبت الحكومة البوسنية الأمم المتحدة بإبعاد هذا المجرم الذي ثارت حوله علامات الاستفهام والارتياب وبعد التثبت والتحقق من إدانته، وتسترا على جرائمه تم اقصاءه عن منصبه في شهر يوليو ١٩٩٢ .

- كانت القوات الدولية للأمم المتحدة في طريقها إلى سراييفو في سيارة مصفحة ترفع علم الأمم المتحدة، وكان يرافق هذه القوات نائب رئيس وزراء البوسنة ووزير الاقتصاد «حقي توايلديتش»،

استوقفت السيارة دبابتان صربيتان ومسلحون صربيون بالرشاشات، أخرجوا المسؤول البوسني بالقوة، وبمنتهى اللامبالاة وعدم الاكتراث أطلقوا عليه دفعات متتالية من رصاص رشاشاتهم فسقط الشهيد مدرجا في دمائه على الفور، وقعت هذه الفاجعة على مشهد من قوات الأمم المتحدة وأمام جنود الفرقة الفرنسية، ومن المعروف أن تعليمات القوافل الدولية تمنع فتح المدرعات لتفتيشها أو إعطاء معلومات عن الأشخاص الذين تقلهم . . فمن أين عرف الصرب بشخصية المسؤول البوسني الذي لقي مصرعه على أيديهم؟ أوليس ذلك دليلا على التواطؤ وخيانة أمانة الوظيفة الدولية؟!

إن لهيئة الأمم المتحدة مواثيقها التي نصت عليها لوائحها المعلنة وعلى رأس تلك المواثيق حماية حقوق الإنسان، وما فعلته وارتكبته ما تُزعم بوحدات حفظ السلام في البوسنة أدى إلى نتائج عكسية كشفت عن الوجه القبيح الشائن للأمم المتحدة وأفقدتها مصداقيتها بخروجها عن الحيادية المفترضة، بل ومشاركتها الفاعلة بالصمت أو الامتناع في إبادة شعب البوسنة المسلم، بحيث أصبحت قوات الأمم المتحدة تشكل عبئا غير محسوب على شعب مضطهد منكوب تُمارس ضده منذ أكثر من ثلاث سنوات وبصفة يومية أبشع الجرائم بحق الانسانية .

القوات الاسلامية .. استثناء :

ذكرنا الدور الذي تقوم قوات الأمم المتحدة العاملة في البوسنة والمستجلبة من عدة دول غربية وكيف أنها تشكل عونا للمعتدي

الصربي والكرواتي على المسلمين بما تقوم به - بعلم ومشاركة قيادتها - من عمليات الاغتصاب والاتجار في معونات الاغاثة استغلالا لشعب البوسنة المسلم المحاصر، فضلا عن الاخلال بدورها في إيقاف نزيف الدم المسلم الذي يتدفق أنهارا في البوسنة .

ولكن هناك كلمة حق لابد وأن تقال، وهي أن القوات التابعة لعدد من الدول الاسلامية كماليزيا وباكستان والاردن ومصر وبنغلاديش العاملة في البوسنة في إطار القوات الدولية تعد استثناء في هذا المجال، حيث يروي العائدون من البوسنة من العاملين في حقل الاغاثة، وكذلك المراسلون الصحفيون ووسائل الاعلام أن هذه القوات تساهم في حدود قدراتها - حيث لاحول لها ولاقوة - في تخفيف آلام شعب البوسنة خاصة فيما يتعلق بأعمال الاغاثة كما يقومون باقتسام نصيبهم من الطعام مع إخوانهم مسلمي البوسنة، بل إن بعض الجنود المصريين قاموا بالجود بدمائهم للمرضى والجرحى البوسنيين تعبيرا عن المشاركة المعنوية للمسلمين في محنتهم.

بطرس غالي - سكرتير الأمم المتحدة :

حينما تم اختيار الدكتور بطرس غالي من قبل الدول الكبرى أمينا عاما للأمم المتحدة رغم كونه قد بلغ من العمر عتيا - ٧٣ عاما - فإنني أزعم أن من المؤهلات الحقيقية غير المعلنة لهذا المنصب، مايلي :

- أن جده «بطرس غالي - أيضا!!» هو ربيب الاستعمار الذي صنعه على عينه، حيث قام «بطرس الجد» - وهو المثل الأعلى

لـ«بطرس الحفيد» - في بداية القرن الميلادي الحالي (١٩٠٦) بتنفيذ مذبحة «دنشواي الشهيرة» وتطبيق أحكام الاعدام والجلد والحبس ضد عدد كبير من الفلاحين المصريين المسالمين إرضاء للانجليز.

- وبطرس نصراني أرثوذكسي من نفس مذهب الصرب، كما أن زوجته يهودية فهي شقيقة زوجة إيجال يادين وزير الخارجية الصهيوني الأسبق.

كان من المحبذين والمنفذين لتطبيع العلاقات مع العدو اليهودي في شتى المجالات بعد مشاركته النشطة مع الرئيس السادات في اتفاقية كامب ديفيد التي كانت بداية لما بعدها في مسلسل التنازلات العربية في فلسطين وسياسة قبول الأمر الواقع.

كان مسؤولا عن السياسة المصرية في افريقيا - بحكم كونه وزيرا للشؤون الخارجية على مدى خمسة عشر عاما - وقد عمل على إضعاف الدور المصري في افريقيا والذي كان نشيطا من قبل مما ساعد على التسلل اليهودي فيها، وكانت الثمرة المرة من جراء ذلك عودة العلاقات الدبلوماسية بين الكيان اليهودي وعدد كبير من الدول الافريقية والتي كانت قد انقطعت عقب حرب العاشر من شهر رمضان.

لقد أثبت الدكتور بطرس للدول الغربية التي اختارته حسن ظنها به بمواقفه المتحيزة، فما من قضية يكون أحد طرفيها من العرب أو المسلمين إلا ويكون عونا للطرف الآخر عليه، يتضح ذلك جليا وعلى سبيل المثال في العديد من بقاع الكرة الأرضية، في فلسطين وأذربيجان وكشمير وقبرص، وفي البوسنة والهرسك والشيشان.

ولنستدل على هذا الموقف تجاه مأساة البوسنة بالدلائل التالية :

- لقد قال بطرس عن حرب البوسنة التي تُشن ضد المسلمين انها «حرب الرجل الثري»، فأي رجل ثري هذا؟! هل هم المسلمون المحاصرون المحرومون من سلاح يدافعون به عن أنفسهم، فضلا عن الغذاء والكساء في سراييفو ومدن البوسنة الأخرى والمناطق الآمنة . . بينما يتدفق السلاح إلى الصرب والكروات وقد بلغت وفرته عندهم أن قاموا ببيعه وتصديره إلى الفرق المتقاتلة في الصومال؟!

- لقد طالب قائد قوات الأمم المتحدة في البوسنة بشن غارات جوية ضد المعتدين الصرب وفوض مجلس الأمن الأمين العام «بطرس غالي» في اتخاذ القرار الذي يراه مناسبا لوقف العدوان. ولكن أعلن انه يخشى من المسؤولية الأخلاقية إذا تعرضت قوات الأمم المتحدة للخطر في حال تصديها للصرب المجرمين بشن غارات جوية ضدهم. إنه يخشى المسؤولية الأخلاقية من تعرض قوات الأمم المتحدة وهي تضرب من الجو فقط، ولكن لاشعور بالمسؤولية الأخلاقية تجاه المسلمين الذين يذبحون ذبح الشياه وتغتصب نساؤهم وتحرق منازلهم وممتلكاتهم.

البوسنة وفلسطين .. وجهان لعملة واحدة :

المتتبع لقرارات مجلس الأمن الدولي بشأن مأساة جمهورية البوسنة والهرسك والتي لاتلقى بالا لايبذل جهدا يذكر في ملاحظة أوجه الشبه في مأساة المسلمين في كل من فلسطين والبوسنة .

حيث أصدرت الأمم المتحدة عشرات القرارات بشأن القضيتين تتضمن إدانة المعتدين اليهود في فلسطين، والصرب والكروات في البوسنة، ولكن القرارات - في كلا القضيتين - ذهبت مع الريح.

وإذا كانت منظمة الأمم المتحدة هي التي رسخت ودعمت بالأمس ميلاد الكيان اليهودي على أرض فلسطين السليبة، فإن نفس هذه المنظمة تقوم اليوم بترسيخ وتدعيم العدوان الصربي على أرض جمهورية البوسنة والهرسك المسلمة.

قالوا عن الأمم المتحدة:

كتب الشاعر الأسباني «أنطونيو ماتشادو» عام ١٩٣٨ محللا موقف أوربا في ذلك الحين - من خلال سيطرتها على عصبة الأمم التي أندثرت وحلت محلها الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ - تجاه الجمهورية الأسبانية فقال: (لنتوقف لحظة عند دورها البائس في عصبة الأمم، إذ حولت مؤسسة نبيلة كان يمكن أن تشرف البشرية كلها إلى كيان هش، إن لم يكن مؤسفا، ويمكن أن تتحول هدفا للسخرية المثيرة للضحك).

- هذا الذي قيل في الفقرة السابقة عن «عصبة الأمم» المنقرضة على لسان مثقف وشاعر غربي بارز قبل نصف قرن، يذكر اليوم كلاما مشابها له سياسي غربي بارز، غاية الفرق بين كلام الرجلين أن سيطرة أوروبا على عصبة الأمم - الأمم المتحدة قد شاركها هذه السيطرة الولايات المتحدة الامريكية، حيث يقول إدوارد هيث، رئيس وزراء بريطانيا الأسبق: (إن الأمم المتحدة أصبحت مجرد

غطاء وأداة في يد الولايات المتحدة تمارس بها أنشطتها العسكرية).

- ويقول «جليجوروف» رئيس مقدونيا: (من غير المفهوم أن يستمر الوسطاء الغربيون التابعون للأمم المتحدة وهؤلاء الذين يقفون من خلفهم في تقديم خطط سلام وهم ليسوا من المقدرة بمكان لتحقيق هذه الخطط ولا هم يريدون ذلك، وفضلا عن ذلك فإن أطراف الحرب الثلاثة ليسوا على قدم المساواة من حيث التعامل، فقد كانت هذه الخطط بالنسبة للمسلمين في الواقع مجرد إملاء واستسلام).

- تعددت استقالات المسؤولين الدوليين والغربيين احتجاجا على تقاعس الأمم المتحدة وسياسة الدول الغربية في البوسنة والهرسك، ومن هؤلاء: الوسيط الدولي «سايروس فانس»، واللواء الفرنسي «فيليب موريلون» القائد السابق لقوات الأمم المتحدة في البوسنة[1]، وكذلك الدبلوماسي الأمريكي «ستيفن ووكر».

ويصل الإحساس بالاحباط إلى أقصى مداه تجاه الوضع المأساوي في البوسنة مع مسؤول دولي آخر، فيظهر من خلال استقالته المسببة الدور المخزي للأمم المتحدة في البوسنة، إنه «الجنرال البلجيكي فرانسيس بريكيمونت» القائد الأعلى للقوات الدولية في البوسنة والهرسك[2]، حيث وجه حملة شديدة من الانتقادات لمجلس الأمن الدولي الذي حدد مهمته، والأمانة العامة للأمم المتحدة التي عينته، فقال: (إن القوات الدولية في البوسنة قد

---

(١) سبقه «لويس ماكنزي» الكندي - الذي شارك في اغتصاب مسلمات البوسنة !!

(٢) حل محله «جان كوت» الفرنسي، حيث تم إبعاده بعد عدة شهور !!

وُضعت في موضع العجز عن مجرد محاولة دفع الموت عن المدنيين تحت القصف، بل العجز حتى عن تنفيذ المهمة الرسمية الموكلة بها، أن تؤمِّن وصول الغذاء والدواء للمحاصرين).

هذه شهادة أخرى من مسؤول غربي يوضح من خلالها أن منظمة الأمم المتحدة قد وقعت أسيرة القوى الغربية تسخرها لمصالحها وحدها، وأن التشكيك في مصداقية هذه المنظمة له ما يبرره، فيقول «بيرن بيتي» وزير خارجية كندا: (إن الأمم المتحدة تحتاج إلى ما هو أكثر من إعادة ضبط الأوتار، نحن في حاجة إلى تحسينات أساسية في هيكلها وأسلوب عملها . . لقد منينا بفشل جوهري في البوسنة والصومال ومناطق أخرى). ويشير الوزير الكندي إلى تسلط الولايات المتحدة الامريكية على الأمم المتحدة، فيضيف: (ولاتستطيع دولة واحدة ولايجوز أن تقوم بمهمة رجل الشرطة العالمي).

يقول تقرير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن لعام ١٩٩٢ (إن الأمم المتحدة تسرعت في بعض الحالات دون تقدير أو استعداد للموقف المطلوب، وتدخلت في حالات أخرى تدخلا خاطئا، وأن هذا الفشل يزيد خطورة الوضع الدولي ويؤكد تراجع مصداقية المنظمة الدولية أمام شعوب العالم).

يقول تقرير المنظمة الأمريكية لحقوق الانسان [1]: (يمكن رد أسباب تقاعس الأمم المتحدة عن آداء واجبها إلى العناصر التالية:

- موقف الحياد الذي جعل القوات الأممية تكتفي بدور الوسيط

---

(١) مجلة «الوهوفيل أو يسر فاتور» الفرنسية - العدد رقم ١٣٤ بتاريخ ٢٢/ ٨/ ١٩٩٣م.

او الحكم، بينما كان عليها أن تباشر تطبيق المباديء المنصوص عليها .

- الإفراط في الحذر السياسي الذي يُقصي كل إمكانية للابلاغ والاخبار، كما يقصى رأي الشارع في شأن بعض الفئات المتهمة بانتهاك حقوق الانسان .

- اعتماد بعض الدول على أسلوب المساومة السياسة التي ترغم بعض الحكومات على ضمان صمت الأمم المتحدة وتجاهل الجرائم التي تفترضها مقابل إمدادها بالمعونات .

يقول الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش[1] : (لايمكن لمجلس الأمن أن يهرب من مسؤولياته بتناقضات تتستر وراء مبرر يتكرر بشكل دائم مفاده : «أننا سوف نقبل بما تقبل به كل الأطراف» في حين أن طرفا واحدا - وهو الضحية - يعيش تحت ضغط تهديد حقيقي من التجويع الجماعي والابادة . . هذا هو تدخل الأمم المتحدة بمراوغتها وتقاعسها وإصرارها المتعجرف على أنها تؤدي دورها، وعدم السماح لنا بتسليح أنفسنا، وهي بهذا تسقط تاريخيا كأداة رئيسية في دمار وطني . . إن تورط المجتمع الدولي في البوسنة بدأ بفرض حظر الأسلحة، واستمر من خلال هذه السلسلة من التعهدات التي لاتنفذ . . إما أن تستمر الأمم المتحدة في تدخلها وإما أن تقرر وقفه بطريقة أو بأخرى، فإنها لايمكنها الاستمرار بالسياسة الحالية التي تجعلها شريكا في تدمير شعب البوسنة) .

ويقول رئيس وزراء البوسنة، حارث سيلاديتش، فلعله يذكرهم

---

(١)من خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة - صحيفة الشعب ١٢/١١/١٩٩٣م.

بتـاريخ يقض مـضـاجـعـهـم : (إن منظمـة الأمـم المـتـحـدة عـار على مجتمعنا العصري، وإننا ننوي رفع شكوى إلى المحكمة الدولية ضد هذه المنظمة العاجزة لمشاركتها في المجازر المرتكبة في البوسنة، إن الأمم المتحدة سلبت منا الحق الأساسي في الحياة وحق الدفاع عن أنفسنا).

هذه الأقوال العديدة التي ذكرناها تصلح دليلا كافيا شافيا على تواطؤ منظمة الأمم المتحدة في قضية البوسنة والهرسك.

الفصل الرابع

- أوروبا .. ومأساة شعب البوسنة .

أوروبا .. ومأساة شعب البوسنة

عندما بدأ تفكك جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي - عقب تفكك جمهوريات الاتحاد السوفيتي الذي كان تمهيدا له - وتوالى إعلان هذه الجمهوريات استقلالها الواحدة تلو الأخرى - عند ذلك - شجعت أوروبا - خاصة ألمانيا - هذا الاستقلال ثم اعترفت بهذه الجمهوريات - بما فيها جمهورية البوسنة والهرسك - ثم علقت عضوية يوغسلافيا في مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي .

ورغم أن أوروبا قد دعمت استقلال كافة الدول الناتجة عن يوغسلافيا - خاصة كرواتيا - إلا أنها أخفقت - عن عمد وإصرار - في إيجاد تسوية عادلة لمأساة البوسنة ، وبذلك سقطت سقوطا ذريعا في إثبات مصداقيتها في البوسنة .

لقد كشفت الأزمة البوسنية عدة ثغرات في السياسة الأوروبية ، لعل أهمها أن الدول الأوروبية الكبرى المعنية مباشرة بهذه الأزمة تلعب في البلقان من منطلق ثأري تاريخي ، جذوره في الماضي ، بدلا من أن تكون آفاقه في المستقبل ، وهذا يتضح وضوح الشمس في رابعة النهار في موقف ألمانيا من مساندة كرواتيا ، وموقف روسيا من مساندة صربيا .

لقد بدأ العالم يتشكل من جديد منذ بداية هذا العقد العاشر والأخير من القرن العشرين وغياب شمس الامبراطورية السوفيتية

الشيوعية، وهناك قوة جماعية قوية آخذة في تشكيل نفسها، إنها أوروبا التي جمعتها «معاهدة ماستريخت».

لم يكن لهذه المعاهدة وجود حينما تدخلت القوى الأوروبية في الصين للرد على تجاوزات الـ«بوكسرز» فيما عرف بـ«حرب الأفيون» فهل يليق أن تفعل أوروبا أقل من ذلك في الوقت الذي تجتهد فيه لبدء عهد جديد في ظل «ماستريخت».

الموقف البريطاني .. والعداء التقليدي للاسلام :

المتتبع للموقف البريطاني في البوسنة يلحظ هذا التحيز الواضح إلى جانب الصرب والكروات منذ أن لاحت بوادر الأزمة في الأفق الأوروبي.

في مقال كان عنوانه «الذكرى السنوية لعار البوسنة»، كتب مارتي وولاكوت في صحيفة الجارديان ٢٠/ ٣/ ١٩٩٣ يقول: كان ذلك العام مفعما بتواطؤ فوق العادة بين الحكومات والدبلوماسيين والعسكريين، استهدف إخفاء الخيارات الحقيقية عن الشعوب والرأي العام.

إلى أن قال: إن بريطانيا تتحمل مسؤولية خاصة عن فشل ديمقراطيات الغرب في الاستجابة إلى تحدي البوسنة. وهذه المسؤولية تنبع من الموقع الدبلوماسي الرفيع الذي تتميز به بريطانيا، كما تنبع من استعدادها وقدراتها العسكرية الفائقة. أيضا تنبع المسؤولية من حقيقة أن بريطانيا كانت تترأس المجموعة الأوروبية خلال الفترة الحرجة الأولى من حرب البوسنة. حيث

كانت في وضع يمكنها من أخذ زمام المبادرة وقيادة الجماعة الأوروبية في الاتجاه الايجابي، ولكن ذلك لم يحدث.

من موقعها ذاك، نجحت بريطانيا في قيادة الموقف الدولي في عدة اتجاهات، منها:

- حظر السلاح على البوسنة، لكن الكل يعلم أن الصرب والكروات لديهم ما يكفي وزيادة «الصربيون باعوا أسلحة للفئات المتقاتلة في الصومال». وعندما سئل دوجلاس هيرد، وزير الخارجية البريطانية يومذاك عن سبب رفضه تسليح البوسنة كان رده: (لأن ذلك سيخلق ساحة للقتل المتساوي). وهي العبارة التي وصفتها تاتشر بأنها «موقف مشين».

- إغراق المشكلة في دوامة المفاوضات، وقد كان ذلك مطلبا صربيا قام البريطانيون باخراجه، حيث دعيت الأطراف المتنازعة إلى مؤتمر جنيف، ثم إلى مؤتمر لندن، ثم في أثينا - الحليف العسكري للصرب مع روسيا - وطالت المداولات، بينما الصرب يتقدمون على الأرض ويغيرون من خرائطها يوما بعد يوم ويقتلون الرجال والاطفال ويغتصبون النساء.

- منع التدخل العسكري الأوروبي والدولي ثم الأمريكي. وفي كل مرة كان يعلن فيها جون ميجور رئيس الوزراء ووزير خارجيته دوجلاس هيرد أن التدخل العسكري لن يتم، كان الصرب يتلقون رسالة الاطمئنان ويزدادون وحشية وضراوة. وهيرد هو اللذي قال: (لانريد أن نتدخل عسكريا مدفوعين بالعاطفة والاحباط). وعندما قالت تاتشر أن أوروبا اشتركت في إبادة مسلمي البوسنة، وطالبت

بالتدخل العسكري رد وزير الدفاع البريطاني مالكوم رفكند «وهو يهودي من اسكتلندا» قائلا: هذا عبث وهراء عاطفي!! وحين لاح في الأفق أن الرئيس الأمريكي كلينتون على وشك اتخاذ قرار بالتدخل العسكري في البوسنة، وأشارت مختلف وسائل الإعلام إلى ذلك، سارع دوجلاس هيرد بالسفر إلى واشنطن حاملا رسالة من حكومته إلى الرئيس الأمريكي، الذي استجاب بسرعة، وأعلن لاحقا أن واشنطن لن تتخذ إجراء عسكريا (إلا بالإتفاق مع الحلفاء الأوروبيين).

- مقاومة الاتجاه إلى رفع حظر السلاح عن البوسنة. حتى أن جون ميجور هدد باستخدام الفيتو إذا ما عرض الموضوع على مجلس الأمن.

- منع تعزيز القوات الدولية المخصصة للإغاثة، وهي القوات التي أرسلت كما سمي لحفظ السلام وليس هناك سلام ولم تُعط حق الدفاع عن نفسها أو استخدام ما تملك من قوة لتنفيذ المهمة المكلفة بها. فعندما أعلن قائد القوات البريطانية الكولونيل بوب ستيوارت عن حاجته إلى قوة أكبر لتمكينه من المحافظة على خطوط الإغاثة مفتوحة في منطقة (فيتر). كان رد وزير الدفاع البريطاني أن القوة البريطانية في البوسنة «حجمها مناسب ولا داعي لزيادتها».

- عارضت الحكومة البريطانية مبدأ استقبال اللاجئين البوسنيين الهاربين من الموت، في دول الجماعة الأوروبية واحتجت في ذلك بدعوى أن «الجماعة الأوروبية يجب ألا تشارك الصرب في عملية التطهير العرقي». واقترحت بدلا عن ذلك تقديم الدواء والغذاء

للاجئين في أماكنهم مع محاولة تأمينهم، وهو ما رد عليه أحد المسؤولين في هيئات الإغاثة الأهلية قائلا: هل كان من الممكن أن نكتفي باطعام اليهود في أماكنهم أثناء حكم النازي، وعدم فعل أي شيء لوقف نقلهم إلى معسكرات الموت؟!

لجنة مناصرة البوسنة:

بناء على توصية من لجنة مناصرة البوسنة بعقد مقابلات مع سفراء الدول الأجنبية في مصر وذات الصلة المباشرة بقضية البوسنة، فقد عقد وفد يمثل اللجنة عدة مقابلات مع هؤلاء السفراء - سنذكرها تباعا - بدأها بمقابلة - بل بمواجهة - مع السفير البريطاني في القاهرة يوم الاثنين ١٢ يوليو ١٩٩٣م.

وقد دار حوار حول قضية البوسنة والهرسك لمدة ساعة أوضح فيه الوفد وجهة نظر اللجنة حول موقف الحكومة البريطانية من قضية البوسنة والهرسك في النقاط التالية:

- أن الحكومة البريطانية وعدت منذ عام مضى أن تتخذ من الاجراءات ما يوقف المذبحة التي تقع على المسلمين بالبوسنة والهرسك وها نحن نجتمع بعد عام والمذبحة ماتزال دائرة.

- عندنا معلومات تؤكد الموقف المنحاز للحكومة البريطانية إلى جانب الصرب والكروات وضد المسلمين وبكل الوسائل. أن بريطانيا وفرنسا يمثلان عقبة كأداء في وجه أي عمل دولي يكون من شأنه ايقاف المذبحة التي تقع على المسلمين.

- أن القوات البريطانية المتواجدة تحت مظلة الأمم المتحدة

مارست أعمالا عدائية في مواجهة المسلمين وشاركت في اغتصاب النساء المسلمات بشهادة الكثيرين من المراسلين الأوروبيين وهيئات الاغاثة الانسانية الأوروبية.

- إن موقف الهيئات الشعبية البريطانية العاملة في الاغاثة الانسانية يتفق مع موقفنا تماما ويخالف مواقف حكومته البريطانية المنحاز.

- ان مصالح بريطانيا سوف تتعرض للخطر نتيجة لغضبة ١٫٢ مليار مسلم لما يحدث لاخوانهم في البوسنة وقد حاول نائب السفير تبرير الموقف بأنه اقتتال داخلي بين الشعب البوسنوي وأن قرارا بالتدخل سوف تواجهه صعوبات.

- وقد رد عليه الحاضرون بأن هذا تمييع للقضية فلا يقتل في البوسنة إلا المسلمون والطرف الوحيد المظلوم هم المسلمون وأن أوروبا تدخلت على الفور عندما ظهر في الأفق حرب بين الصرب والكروات وأوقفت ذلك في غضون أيام وقام بابا الفاتيكان بنفسه بالاشراف على ذلك. ولكن بريطانيا وأوروبا تقف مساعدة للمعتدي الصربي والكرواتي مادام الاعتداء يتم على المسلمين.

وفي نهاية المقابلة سُلِّمت للسفير رسالة احتجاج على الموقف البريطاني موجه لرئيس الحكومة البريطانية وما يثبتها من وثائق ومستندات.

لقد ذكرت صحيفة «الأوبزرفر» البريطانية عندما تولى جون ميجور رئاسة الحكومة البريطانية بعد استقالة «مارجريت تاتشر» أن الاسم الحقيقي لوالده هو «إبراهام» وأنه كان يهوديا، وبما أن هجرته

إلى بريطانيا تمت في حقبة كان اليهود يخفون فيها هويتهم، فلقد غير الأب اسمه اليهودي إلى اسم بريطاني حتى يستطيع الاندماج في المجتمع الجديد الذي هاجر اليه، ولكن إذا كان والد الرئيس البريطاني استطاع أن يخفي هويته اليهودية حفاظا على وجوده في المجتمع البريطاني، فهل الإبن لم يستطع اخفاء مشاعره الحقيقية تجاه العالم الذي انفتحت ابوابه امامه فجأة، ومن ذلك مشاعره تجاه الدولة الاسلامية الوليدة في قلب أوروبا. والتي إن تحمل الغرب كله مسؤولية ما آلت إليه أوضاعها المأساوية، إلا أن نصيب بريطانيا يبقى هو النصيب الأوفر.

ولنتأمل نص الخطاب الذي أرسله جون ميجور رئيس وزراء انجلترا إلى دوجلاس هوج وزير خارجية بريطانيا:

[عزيزي دوجلاس . . شكرا على تقريركم الوافي حول الوضع الحالي في منطقة البوسنة والهرسك في يوغسلافيا السابقة. وكما تعلمون من المناقشات السابقة أن كلا من مجلس الوزراء وحكومة جلالتها لم تغير موقفها من أي من السياسات التالية:

١ - نحن لانوافق الآن ولا مستقبلا على تسليح أو تدريب المسلمين في البوسنة والهرسك.

٢ - سوف نستمر في إلزام وإرغام الأمم المتحدة على حظر السلاح إلى منطقة البوسنة والهرسك، بينما نعلم جيدا أن اليونان وروسيا وبلغاريا يمدون صربيا بالسلاح، كما أن ألمانيا والنمسا وسلوفينيا - وحتى الفاتيكان - يقومون بنفس المجهودات لصالح الكروات في المنطقة، مع التأكد من عدم نجاح الدول والجماعات الاسلامية في توصيل المساعدات إلى المسلمين في البوسنة.

وسوف نستمر في اتباع هذه السياسات حتى يتم تقسيم البوسنة والهرسك وتدميرها كدولة اسلامية متوقعة داخل أوروبا، وهو الأمر الذي لايحتمل، ولانريد أن نكرر خطأ تسليح وتدريب المجاهدين الأفغان ضد قوات الاتحاد السوفيتي السابق، وتحولهم لما يسمى بالمجاهدين المسلمين، الأمر الذي يؤدي إلى مشكلات خطيرة في المستقبل بين التجمعات المسلمة المهاجرة في المجموعة الأوروبية وأمريكا الشمالية.

إن هناك اهتماما خاصا من قبل أجهزة الأمن الداخلي سوف يتخذ تجاه التجمعات الاسلامية في أوروبا، خاصة هنا في المملكة المتحد.

٣ - وحتى يستقر الوضع في يوغسلافيا القديمة، يجب علينا مهما كلفنا الأمر، أن نتأكد من أنه لايمكن لدولة تعتبر اسلامية أن تقوم في المنطقة، وعليه فإنه من الضروري أن نستمر في المحادثات الصورية لفانس - أوين للسلام بهدف تأخير أي تحركات ممكنة، حتى لايعود هناك وجود للبوسنة والهرسك، ويزاح التجمع الاسلامي تماما من أرضه هذه الرؤية يجب أن تعرف أنها السائدة في كل حكومات أوروبا وأمريكا الشمالية. وعليه، فإننا لن نتدخل في هذه المنطقة لحماية التجمعات الاسلامية أو ندفع إلى رفع حظر السلاح عنهم.

إن المسلمين يجب أن يعلموا أنهم لايمكن أن يعترضوا رؤيتنا للعالم في ظل النظام العالمي الجديد، وفي ظل جمود ما يسمى «بالحكومات الاسلامية»، وفي ظل عجزهم عن فعل أي شيء لمنع

القضاء على المسلمين في البوسنة والهرسك، وعدم جدوى فعل أي شيء لتحقيق وعودهم بعد مؤتمر «منظمة المؤتمر الاسلامي» - الذي عقد في جدة بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٩٣، فإنهم جميعا ليس لديهم قوة لاعتراضنا، إذ أننا نتحكم في حكوماتهم.

إنني أعلم تماما أنك لاتشعر بالذي أشعر به ويشعر به وزير دفاع بريطانيا حول هذه القضية، ومن المهم أن نعرض جميعا وجهة نظر موحدة في البرلمان حول هذه القضية، خاصة بعد الهجوم القوي على هذه السياسة من رئيسة الوزراء السابقة. إنني أتوقع من كل هؤلاء الذين يخدمون الحكومة أن يحترموا مسؤولية مجلس الوزراء].

جون ميجور - رئيس وزراء بريطانيا

الموقف القبرصي:

عندما نتحدث عن هذا الموقف إنما نقصد «قبرص اليونانية» تمييزا لها عن «قبرص التركية» حيث تم انشطار الجزيرة القبرصية إلى قسمين بعد تدخل تركيا عام ١٩٧٤ لانقاذ المسلمين من الاضطهاد.

تقع قبرص عند مفترق الطرق البحرية بين الشرق والغرب كما أنها أصبحت منذ أكثر من عشرين عاما أحد مراكز الأعمال، حيث البنوك ومؤسسات التصدير والاستيراد تتمتع فيها بمزايا مالية غير عادية بسبب نظام حسابات البنوك المطبق هناك. وتسبب اللبنانيون في بداية السبعينات في بدء إيفاد الثروات على الجزيرة ثم عاد اللبنانيون إلى بلادهم لإعادة بنائها والآن يتوافد على الجزيرة أناس آخرون من مناطق تسودها الاضطرابات غالبيتهم من اليوغسلاف.

وتعتبر قبرص محطة وصول محددة للتجار الصرب، وكانت هناك علاقات وثيقة تربط المارشال تيتو والأسقف مكاريوس حيث كان الاثنان من مؤسسي حركة عدم الانحياز، ويضاف إلى ذلك التقارب الديني في تطبيق الشعائر الأرثوذكسية وهناك أيضا التعاطف المتميز من جانب القبارصة اليونانيين للصرب حيث أن كليهما يعتبر في صراع دائم مع ما تبقى من الوجود العثماني.

هذا ويوجد في قبرص أكثر من عشرة آلاف مؤسسة لاتلتزم بتطبيق قوانين الدولة من ضمنها ٢٠ بنكا دوليا وأكثر من ٥٠٠ شركة صربية.

وهكذا تم ببساطة شديدة افتتاح عدد كبير من الشركات الوهمية قبل فرض الحظر بفترة وجيزة وهو أمر كفيل بإثارة الشكوك، وتوجد ثلاثة بنوك يوغسلافية في قبرص من بينها بنك بيوجراد سكا الذي تعتبر المؤسسة المالية الرئيسية في بلجراد والتي تديرها السيدة بوركافوسيك وهي امرأة نشيطة تبلغ من العمر ٦٧ عاما وكأنت تعاون الرئيس «ميلوسيفيك» عندما كان مديرا لهذا البنك.

إذن قبرص اليونانية تخرق الحظر التجاري والمالي ضد صربيا والجبل الأسود بتقديم مساعداتها لبلجراد.

موقف مقدونيا :

١ - تضرب مقدونيا بقرارات هيئة الأمم المتحدة عرض الحائط حيث إنها تسمح بمرور الشاحنات من وإلى صربيا محملة بشحنات من بضائع مختلفة تنعش الأسواق في صربيا.

٢- تتجمع سيارات النقل على طول الحدود بين مقدونيا وصربيا في انتظار الاشارة لتخطي الحدود بطريقة غير مشروعة، وتعتبر هذه المسافة ثغرة منفرجة في الحظر التجاري ضد بلجراد.

٣- طبقا لمعلومات الأمم المتحدة تسير عربات نقل وقطارات - محملة بالبنزين والمواد الكيماوية وبضائع استهلاكية وبضائع مصنعة - من وإلى صربيا وهي بذلك تنتهك الحظر بصورة مستمرة، وقد ورد في تقرير مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي أن «الشوارع مليئة بالسيارات والأسعار في الأسواق مستقرة جدا».

٤- يدافع المسؤولون في مقدونيا عن تلك الانتهاكات لقرار الحظر التجاري على صربيا بحجة أن هذا القرار ألحق خسائر بالاقتصاد المقدوني كما واتهم الجرأة لأن يطالبوا الأمم المتحدة بالتعويض.

وفيما يتعلق بأحوال المسلمين في مقدونيا والذين يشكلون ٥٠٪ من عدد السكان إلا أن السلطات تحاول أن تظهرهم أقل من ذلك، حيث قامت بطرد ٣٠٠٠ طالب مسلم من مدارس الدولة لأنهم احتجوا على الكتب الدراسية الرسمية التي تسيء إلى الاسلام. كما أن المسؤولين في مقدونيا يعتبرون المسلمين أقلية ويسعى رئيس مقدونيا «كيروجد يجوروف» إلى بذل أقصى مساعيه لأن تكون مقدونيا دولة نصرانية.

الفصل الخامس

- حقوق الإنسان مجرد اعلانات
- حقوق الانسان في فيينا
- الرفق بالكلاب !!
- حقوق الطفل
- شهادات منظمات حقوق الانسان
- حلف الفضول

حقوق الإنسان .. مجرد إعلانات

تعددت خلال النصف الأخير من هذا القرن العشرين إعلانات واتفاقيات ومواثيق «حقوق الانسان» فمن «الإعلان العالمي لحقوق الانسان» الصادر عن الأمم المتحدة (١٩٤٨)، إلى الاتفاق الأوروبي لحقوق الانسان (١٩٥٠)، إلى الميثاق الدولي للقضاء على كافة أشكال التفرقة العنصرية الصادر عن الأمم المتحدة (١٩٦٥)، إلى اتفاقيتي الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الصادرتين عن الأمم المتحدة (١٩٦٦)، وأخيرا إعلان مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي لحقوق الانسان المنعقد في باريس (١٩٩٠).

وكذلك تاريخ إعلان إنشاء الأمم المتحدة واتفاق «جنيف» الشهير، وقبل ذلك بقرون العهد الانجليزي لحقوق الانسان (١٢١٥م)، والاعلان الفرنسي لحقوق الانسان والمواطن (١٧٩٣).

كل هذه الاعلانات والاتفاقيات والمواثيق تهدف إلى العمل على صيانة الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يحق لكافة البشر أن يتمتعوا بها دون تمييز أو تفرقة . . وعلى سبيل المثال نعرض للمواد الست الأولى للإعلان العالمي لحقوق الانسان:

١ - إن الناس ولدوا أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق.

٢- لايجوز التميز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي سياسي وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو المولد أو أي وضع آخر.

٣- لكل فرد حق في الحياة والحرية.

٤- لايجوز استرقاق أحد أو استعباده.

٥- لايجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو الحاطة بالكرامة.

٦- لايجوز اعتقال أي انسان أو حجزه أو نفيه تعسفيا.

لنا بعد هذا العرض أن نتساءل: لمن وُضعت هذه النصوص التي تدعم «حقوق الانسان» . . وأي إنسان تقصد، وهل الانسان المسلم ممن تشملهم هذه الحقوق؟!

يجيب لنا على هذا التساؤل «جهاد الخازن» وهو كاتب مسيحي منصف حر لاشك في إجابته، إذ يقول[1]: (إن خمسين ألفا من سكان موستار يواجهون خطر الموت جوعا، بينما يصل عشرة أطفال أو عشرون إلى مستشفيات الغرب للعلاج، وهم يعتبرون هذا منتهى الانسانية، بينما هو منتهى الاحتقار لكرامة الانسان وحقه في الحياة، وليس الغرب هو المذنب وحده، بل المذنب كل عربي ومسلم ضيع فلسطين ولم يتعلم من ضياعها شيئا، إذا ضاعت البوسنة نهائيا غدا، كما ضاعت فلسطين فإننا - نحن الناس العاديين - سندين تواطؤ الغرب، وسنذكر أن حقوق الانسان في الواقع هي

---

(١) الحياة اللندنية - ٢٦/٨/١٩٩٣م.

حقوق الانسان المسيحي أو اليهودي إلا أنها ليست حقوق الانسان المسلم في البوسنة) إنتهت الاجابة - بل الشهادة - ولكن لم تنته المأساة.

مواثيق حقوق الانسان دعاوى بلا برهان:

الواقع يؤكد هذه المقولة فحيثما تنتهك حقوق الانسان - المسلم وحده - يغض الغرب الطرف عن هذا الانتهاك، بينما تتعالى الصيحات تتلوها التحركات لردع العدوان على حقوق الانسان، غير المسلم.

قتل إنسان في غابة مسألة لاتغتفر وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر

إن الغرب الجاحد ينسى أو يتناسى ما كان يتمتع به اليهود والنصارى في العصور الاسلامية ويرفلون في نعيم الحرية، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، كما يجحد التسامح الاسلامي وأريحية المسلمين في ظل الخلافة العثمانية - المظلومة تاريخيا - حينما حكموا البلقان، وهذا ما يوضح الفرق بين حقوق الانسان - بقطع النظر عن دينه وعقيدته - كما مارسها المسلمون مع غيرهم، وبين الحقوق المزعومة التي يتشدق بها الغرب في مؤتمراته الانسانية!!

إن الصرب مصممون على إهدار كل قيمة ومبدأ، حتى القيم التي يدعون أنهم يؤمنون بها، ويقاتلون من أجلها، فهم يدّعون أنهم نصارى، وأنهم يدافعون عن القيم النصرانية، وأنهم ينوبون عن العالم النصراني في ذلك!!

إن أبرز تعاليم المسيح - بعد التوحيد - هي: المحبة والرحمة

والرأفة والسلام لكن الصرب يفسرون المحبة على أنها الكراهية، والرحمة بأنها قسوة وهمجية، والرأفة بأنها ذبح الانسان، والسلام بأنه عدوان يستبيح كل شيء.

كيف يصدق الناس ذلك في حين أن المعتدين الصرب وأمثالهم يهددون على مدار الساعة حرية الانسان المسلم وكرامته وحقه في الحياة والأمن العام وفي الغذاء والعلاج.

حقوق الإنسان في فيينا !!

إنعقد – في النصف الأول من شهر يونيو ١٩٩٣ – المؤتمر العالمي الثالث لحقوق الانسان في مدينة فيينا عاصمة النمسا، وحضر المؤتمر أكثر من خمسة آلاف مدعو من أركان الدنيا الأربعة ممثلين لمائة وستين دولة تكفلت الأمم المتحدة – التي تشكو من خواء خزانتها إزاء القيام بدورها في البوسنة – بنفقات سفرهم وإقامتهم ومعيشتهم وطعامهم وشرابهم على مدى أسبوعين كاملين.

اجتمع المؤتمرون وعلى مقربة منهم في «سراييفو» تدار آلة الحرب الصربية حيث تخضب الأرض بدماء المسلمين.

لقد كان من الأجدى والأجدر أن ينعقد هذا «المؤتمر الانساني» بين أطلال سراييفو وحتى يرى أنصار حقوق الانسان رأي العين ويعلمون علم اليقين كيف تداس آدمية الانسان وتسحق كرامته على الطبيعة ودونما حاجة إلى تقارير وشهادات على ذلك، حيث صرخات الأطفال واليتامى ودموع الثكالى والأيامى وأنات المشوهين والمعوقين والجرحى والحرقى وأنين الشيوخ ونحيب المغتصبات اللاتي هتكت أعراضهن بواسطة فرسان الصرب . . فرسان الصليب !! أما البقية الباقية من المسلمين فيساقون كالنعاج إلى معسكرات التقتيل والتمثيل والتنكيل، وحيث الجثث والدماء والأشلاء . . حيث الدمار والخراب.

وإلا . . فلماذا منع المؤتمر دخول وفد من النساء يرفعن لافتات يطالبن بالدفاع عن حقوق المغتصبات المسلمات في البوسنة، ومنع أن يتحدث أحد من البوسنة في جلسات المؤتمر أو أثناء «الاستراحة» ومنع أكثر من شخصية عالمية مثل «الدلاي لاما» الحائز على جائزة نوبل للسلام لكونه سوف يتحدث عن قضايا الأقليات، كما منع الحديث عن اضطهاد المسلمين وهدم مساجدهم في فلسطين والبوسنة والهند.

إن هذا العالم «المتمدن» قد أصبحت حقوق الانسان فيه مجرد خطب تدبج، وكلمات تقال، ومؤتمرات تعقد وتنفض ولا طائل من وراءها.

الرفق بالكلاب

إذا سقط كلب . . أو أصيبت قطة بوعكة بسيطة ستسارع منظمات عديدة من العالم «المتحضر» للنجدة والصراخ وشق الجيوب حزنا على الحيوانات وغضبا من البشر المتوحشين .

هذا بالضبط ما فعلته بريجيت باردو حين اهتزت بقوة لمشاهدة الدم والدمار في البوسنة والهرسك ، ولم يكن ذلك حزنا على آلاف الأطفال الذين تقطع أرجلهم وأذرعهم يوميا . . ولا النساء اللاتي تبقر بطونهن . . ولا الفتيات اللاتي يهتك اعراضهن . . بريجيت باردو الممثلة الفرنسية السابقة ورئيسة الرفق بالحيوان أثارها شيء آخر وهو القطط والكلاب الضالة التي تعاني من وحشية القصف الصربي ، فراحت تعد الحملات لجمع التبرعات لحماية «هؤلاء» المساكين . . أما البشر فـ«هذه» أشياء ليست مهمة وهي ليست مسؤولة عنها .

وقد أوردت صحيفة العربي القاهرية بتاريخ ٣١/ ١/ ١٩٩٤ نبأ احتشاد خمس من أشهر عارضات الأزياء في العالم للدفاع عن الحيوانات التي يصطادها البشر «المجرمون» لاستغلالها في صناعة معاطف الفراء . . وخرجت العارضات الخمس من حفل أقيم في العاصمة الفرنسية في مظاهرة تطالب بالكف عن صيد حيوانات الفراء .

على الجانب الآخر مازال أطفال البوسنة يقاومون الموت في انتظار علبة لبن أو مصل مضاد للأوبئة المنتشرة هناك . . ومازال أطفال الصومال في انتظار كسرة خبز .

جرى ذهني للأطفال الذين قتلهم وحوش الصرب في البوسنة والهرسك، لماذا لم يتحرك الضمير العالمي لمحاكمة البشر الذين نافسوا الوحوش في الوحشية .

لماذا يتحرك الانجليز ليحاكموا كلبا قتل طفلين كما حدث في لندن قبل فترة ولايتحرك نفس الضمير ليحاكم كلابا بشرية قتلت آلاف الأطفال في البوسنة والهرسك وفي جمهورية الشيشان مثلا .

أيها أجدر بالقصاص . . الكلاب البشرية أم الحيوان الوحشي الذي لايملك لفطرته ردا ولا دفعا ولا تغييرا . . أيها أجدر بالعقاب صاحب العقل الذي يتفنن في قتل الأطفال أم الحيوان الذي جاءت فطرته على مثال فطرة الوحوش .

نحن أبناء عالم ظالم لا يلتفت إلى عذاب آلاف الأطفال، ولا يعبأ بقتل آلاف الأطفال إذا كانوا مسلمين، ولكنه يفزع لقتل طفلين قتلهما كلب ركبوا فيه طبيعة الذئاب كما نشرت الصحف البريطانية نبأ ذلك بأن الكلب المسعور هو من فصيلة الذئاب المستولدة مع الكلاب .

وهذه حادثة أخرى شبيهة بتلك حيث حملت إلينا وكالات الأنباء قصة القطة والكلب الذين اكتشف طاقم قيادة الطائرة البوينج أنهما مسجونان في عنبر البضائع حيث لاتكييف وحيث بلغت درجة الحرارة أثناء الطيران في طبقات الجو العليا ثلاث درجات تحت

الصفر فقرر الطيار الشهم قطع خط السير والنزول في أقرب مطار لإخراج القطة والكلب من هذه الثلاجة واستضافتهما على كوب من اللبن في الصالون الدافيء للدرجة الأولى حتى يبلغا نهاية رحلتهما.

شهامة ونجدة ورفق بالحيوان . . ولكن ما بال هذه الشهامة الأوروبية لاترى مايجري لثلاثمائة ألف سجين آدمي مسلم تحت الجليد في سراييفو في درجة عشرين تحت الصفر . . ليسوا فقط محبوسين ومحاصرين في تلك الثلاجة الرهيبة وإنما يمطرهم الأوروبيون الصرب بالصواريخ والقنابل . . ثم لايتحرك أحد ولاتخرج من أروقة الأمم المتحدة إلا تصريحات وقوافل معونات تتوقف في الطريق.

وتحت الجليد يموت كل يوم بضع مئات لاتسمح لهم أوروبا حتى بالدفاع عن أنفسهم وتمنع عنهم أي قطعة سلاح وتحظر عليهم أي وسيلة للنجاة.

ليتهم كانوا حيتانا ،

لاتقتلوا الحيتان : هذا هو الشعار الذي يرفعه المؤتمر الذي انعقد في اليابان حول مستقبل الحيتان والأخطار التي تهددها ، كل دول أوروبا ومعظم دول العالم ممثلة في هذا المؤتمر العلمي الهام.

وتكمن أهمية المؤتمر في الفكرة التالية :

إن الإنسان . . هذا المخلوق الظالم اللامبالي يصطاد الحيتان ويقتلها لكي يستفيد من زيتها وعظامها وعنبرها . . الأمر الذي يزعج الحيتان في العالم ويهددها بالإنقراض.

ولا يسع المرء منا إلا أن يعجب من طيبة قلب العالم المتقدم هذا العالم الذي يقف ضد صيد الحيتان وذبحها في الوقت الذي يغمض فيه عينيه على جرائم شعب بكامله يذبح على أرض البوسنة والهرسك وعلى أرض الشيشان ايضا .

حقوق الطفل

في ٩ ديسمبر ١٩٨٨ أنهت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة وضع مشروع اتفاقية لحقوق الطفل، نصت في مادتها الثانية على ما يلي :

١ - تحترم الدول الأطراف في هذه الاتفاقية وتضمن الحقوق الموضحة في هذه الاتفاقية لكل طفل يخضع لولايتها دون أي نوع من أنواع التميز، بغض النظر عن عنصر الطفل أو والديه أو الأوصياء الشرعيين عليه أو لونهم أو جنسهم أو لغتهم أو دينهم أو رأيهم السياسي أو غيره أو أصلهم القومي أو الإثني أو الاجتماعي، أو ثروتهم، أو عجزهم، أو مولدهم، أو أي وضع آخر.

٢ - تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة لتكفل للطفل الحماية من جميع أشكال التمييز أو العقاب القائمة على أساس مركز الطفل أو والديه أو الأوصياء الشرعيين عليه أو أعضاء الأسرة، أو أنشطتهم أو آرائهم المعبر عنها أو معتقداتهم.

ولنا بعد ذلك أن نكرر نفس التساؤل بصورة أخرى: هل الطفل المسلم - البوسني خاصة - يتمتع بهذه الحقوق . أم أنه خارج هذا الإطار؟!

لقد أعلنت منظمة «اليونيسيف» الدولية التابعة للأمم المتحدة. والتي تعنى بالطفولة والأمومة بعد تحقيق أجرته وقامت بنشره في

«جنيف» حيث مقرها، أن ثلاثة آلاف طفل من أطفال المسلمين في البوسنة قد قتلوا برصاص القناصة الصرب والكروات المتمركزين فوق المرتفعات المحيطة بالعاصمة البوسنية «سرايفو»، وأن هؤلاء القناصة قد لجأوا إلى وسيلة غادرة لتحطيم الروح المعنوية للمدنيين في البوسنة وصولا إلى إضعاف مقاومتهم وإجبارهم على النزوح خارج البوسنة ليتشتتوا في قارات العالم الخمس، كما حدث لشعب فلسطين.

تتمثل هذه الوسيلة الغادرة في القصف المدفعي العشوائي للتجمعات البشرية المدنية خاصة في الأسواق والملاجيء والمستشفيات، والأكثر غدرا تصويب دانات المدافع على هامات الأطفال وهم يعبرون الطريق، فهم أهداف سهلة القنص.

وما زلنا مع تحقيق اليونيسيف الذي يذكر أن ٩٠٪ من أطفال المسلمين يعيشون في خنادق تحت الأرض لفترات تصل إلى أكثر من ستة أشهر، وأن نصف الأطفال قد شاهدوا بأعينهم موت جيرانهم وذويهم، وأن ٤٠٪ منهم فقدوا الأب أو الأم، وأن أكثر من ٧٠٪ منهم شاهدوا منازلهم تقصف بالمدافع وتنهار على رؤوس الأحياء.

هذه أرقام التحقيق الذي قامت به منظمة «اليونيسيف» خلال خمسة شهور بدأت من شهر نوفمبر ١٩٩٢ واستمر حتى شهر فبراير ١٩٩٣.

وبعد عرض مأساة الأطفال البوسنيين بالأرقام من جهة لا يمكن أن تُتهم بالانحياز للمسلمين.

هؤلاء الألاف من طوابير الطفولة البوسنية المقهورة، إلى أي عالم مجهول تمضي بها الأيام، وهي تتبعثر من مكان إلى آخر، والعالم الإسلامي الذي جاوز تعداده البليون من أبنائه المنتشرين في عدة قارات مازال في حالة غيبوبة وغياب؟. لعل من أقسى مايحرق حبة القلب، أن الآلاف من هؤلاء الأطفال قد لايعرفون بعد فترة أين وطنهم وأين كانت دولتهم وعشائرهم .. وقد لايعرفون وهم في مرحلة من أسرع فترات نموهم، أي هوية ستفرض عليهم ودون إرادة منهم؟!

ومن الأنباء المثيرة، نبأ أسند إلى مصدر إسلامي داخل «البوسنة» أن الطائرات الدولية التي تنقل معونات غذائية للعاصمة «سرايفو» المحاصرة تقوم بنقل مجاميع من أطفال البوسنة إلى جهات غير معلومة، وقد اتضح أخيرا أن من بين هذه الجهات «اسرائيل» وكشف ذلك وزير الخارجية الاسرائيلية، حيث أعلن أن إسرائيل استقبلت ألفا من هؤلاء الأطفال المسلمين.

ما معنى ذلك ؟!

هل معناه أن حالة من البلادة ضربت عالمنا الاسلامي؟ أو أن ضميرنا جميعا قد أصبح في إجازة طويلة؟ ومن ثم فانه لايهمه أي عار يلحقه بشأن ما تصير إليه عقيدة هؤلاء الآلاف من أطفال المسلمين؟! هل الآلاف من أصحاب البلايين ورجال الأعمال بالدول الإسلامية يعجزهم إقامة «مؤسسة إجتماعية دولية» يكون مقرها في أي عاصمة إسلامية؟ إنه لايضيرهم ولا ينتقص من ثرواتهم المساهمة بعدة ملايين لتمويل صندوق مثل هذه المؤسسة ويكون لها

مجلس يتولى تصريف أمورها لجمع شتات هذه الطفولة المبعثرة من يتامى المسلمين سواء أكانوا من البوسنة أم من فلسطين أم من لبنان أم من الهند أم من الصومال وغيرها .

إننا لو تصورنا أن ألفا فقط من بين بليون من أبناء العالم الاسلامي الأثرياء ساهم بمليون دولار في هذا الصندوق فإن حصيلته يمكن أن تستثمر في رعاية هؤلاء الأيتام والمشردين ودون أن يتكلفوا شيئا إذا ما أسقطت مساهمتهم من الضرائب التي تجب منهم سنويا ! !

إنني في الحقيقة وبكل الصدق لا أطرح هذا الطرح من منطلق إسلامي فحسب ولكن منطلق إنساني ايضا وحتى ولو كان من بين هؤلاء الأطفال ممن يدينون بالديانات السماوية الأخرى . . لكنني بكل الصدق أيضا منزعج مما قد يؤول اليه مصير هؤلاء الأطفال داخل الدولة اليهودية ! صحيح أن هذه المبادرة من جانب إسرائيل باستضافة هذا العدد الكبير من الأطفال المسلمين البوسنيين تعتبر في شكلها الدولي صورة مشرقة للسمعة اليهودية ! ! لكن . . هل هذا التصرف هو من قبيل النزوع المحض إلى الخير وخدمة الإنسانية أم أنه ينطوي إلى جانب ذلك على معنى آخر هو تغطية ممارساتها الإرهابية ضد أطفال الانتفاضة الفلسطينية الذين لايفوت عليهم يوم دون أن يقتل فيه واحد أو أكثر منهم؟ ولتتبدد الصورة الدموية القاسية التي انطبعت عنها لدى الرأي العام العالمي؟

أن تتقمص إسرائيل شخصية الدولة المتحضرة على مسرح المحنة البوسنية باستضافتها ألفا من أطفالها اليتامى والمشردين قد

لاتخرج عن كونها مظاهرة إعلامية، القصد منها تحسين صورتها القمعية لدى العالم ومنظمات حقوق الإنسان . . فهذه المنظمات تتعقب ممارساتها الوحشية ضد الشعب الفلسطيني وما تقوم به من تعذيب وتنكيل بشبابه وما يلاقيه أطفاله من مطاردات وقسوة إلى حد القتل في وضح النهار . . إنها تريد أن تسقط من ذاكرة منظمات حقوق الإنسان الدولية، الصورة التي انطبعت عن مهمة قواتها الخاصة وفرق الاغتيال التي شكلتها من اليهود المهاجرين لتتعقب المناضلين واغتيالهم وتدمير منازلهم وتشريد أطفالهم!!

إنه لمن العار الذي يلاحق المجتمعات الاسلامية أن تسمح جمعياتها الخيرية لاسرائيل بوضع مصير هؤلاء الأطفال بين أيديها وهذه الجمعيات قادرة على استضافتهم والاعتناء بتربيتهم تربية أخلاقية إسلامية إنسانية!! ومن يدري ماذا تفعل المؤسسات اليهودية بهذه البراعم الخضراء؟ وأي مناهج تعليمية تبنى بها عقولهم التي تنقش عليها ما تتلقنه خاصة وهي في هذه السن الصغيرة؟ وإذا كنا نحن المجتمعات الاسلامية قد أعطينا ظهورنا الأطفال، فلا أقل من أن نطالب مختلف المنظمات الانسانية العالمية بأن تضع أعينها عليهم وتفرض رقابة دولية على وسائل تعلمهم أو تأهيلهم حيث لاندري على أي مبادىء يتشكل مستقبلهم الذي ينتظرهم؟

تهجير اليهود اليوغسلاف:

أعد الكيان اليهودي مخططا صهيونيا لاستغلال ظروف الحرب والدمار التي تتعرض لها جمهورية البوسنة والهرسك من ميليشيات

الصرب البربرية، فقد أرسل وفدا صهيونيا يضم «يوسي ساريد» عضو الكنيست الاسرائيلي، و«توفيا لافيف» مندوب الوكالة اليهودية وعددا من المتطرفين إلى زغرب للإشراف على نقل ٣٠٠ مواطن بوسني يدينون باليهودية إلى فلسطين وهو ما وصفه بعض المراقبين بأنه إحدى الحلقات الطارئة في مسلسل الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة.

ومن خلال الاتصالات السرية التي تمت بين الكيان اليهودي وميليشيات الصرب تم تهريب ٥٠ يهوديا عبر ممرات خاصة بمدينة سرايفو المحاصرة، وتم نقلهم إلى مخيم خاص للاجئين أقامته الوكالة اليهودية في مدينة سبليت، وقد أعلن «أوري جوردن» رئيس دائرة الهجرة والاستيعاب في الوكالة اليهودية أن هؤلاء اللاجئين تم نقلهم إلى بودابست عاصمة المجر حيث تم نقلهم جوا إلى فلسطين السليبة، ومن المعروف أن العاصمة المجرية كانت إحدى المحطات الرئيسية الوسيطة التي كان يتم نقل يهود عبرها مما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي إلى فلسطين.

وتتعاون الوكالة اليهودية ومنظمة جونيت «احدى المنظمات اليهودية التي تقدم مساعدات إلى يهود العالم» في تنفيذ هذا المخطط الصهيوني.

وكانت ثمرة هذا التعاون هي نقل مجموعة أخرى من يهود البوسنة والهرسك تضم ٦٠ شخصا إلى فلسطين بالاضافة لمجموعة أخرى تم نقلهم بالفعل إلى تل أبيب تضم ٣٧ يهوديا بينهم عدد كبير من الأطفال.

واستكمالا لهذا المخطط أعد الكيان اليهودي طاقما لاستقبال هؤلاء اليهود يضم ممثلين عن وزارتي الصحة والخارجية بالاضافة إلى الوكالة اليهودية كما تم الاتفاق مع ممثلي الكيبوتسات «معسكرات تضم اليهود المهاجرين» وممثلي نجمة داود الحمراء «مؤسسة صحية يهودية على غرار الصليب الأحمر» على وضع كافة الإمكانات المختلفة لاستيعاب أطفال البوسنة اليهود.

كما تم إعداد كميات من الأغذية والأدوية وطاقم من الأطباء لاستقبالهم. كما أن هناك اتفاقا سريا مع ميليشيات الصرب لنقل أكبر عدد من الأطفال الأيتام من سراييفو إلى فلسطين حيث تم تهويدهم في كيبوتسات تل أبيب.

وتنظر الدويلة اليهودية بعين إلى يهود البوسنة وبالأخرى إلى اليهود اليوغسلاف الذين قدرت عددهم الوكالة اليهودية بما يقرب من مائة ألف يهودي، ولكن تقف العقوبات الدولية ضد بلجراد أمام هجرة هؤلاء اليهود ولذلك فإنها تنتظر اللحظة المناسبة، ولكنها لن تترك الاتحاد اليوغسلافي السابق حتى تنقل منه جميع اليهود وفقا لمخططها الاجرامي الذي تستهدف منه نقل يهود العالم إلى فلسطين على حساب الأراضي العربية.

كما ذكرت أنباء صحفية أن الإرهابي «أريل شارون» وزير الإسكان اليهودي السابق اتفق مع مسؤولين صربيين زاروا الأراضي المحتلة مؤخرا على تشييد معسكرات اعتقال لتعذيب المسلمين في البوسنة والهرسك الذين يتعرضون لحرب إبادة شاملة على أيدي الصرب.

شهادات منظمات حقوق الإنسان

منظمة العفو الدولية:

اتهمت منظمة العفو الدولية - أكبر وأشهر منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم - قوات حفظ السلام في بعض دول العالم - كما ثبت في البوسنة - بتجاهل حقوق الانسان في المناطق التي أرسلتها إليها منظمة الأمم المتحدة لحماية سكانها والدفاع عنهم، وبصفة خاصة التصدي للانتهاكات التي تُرتكب ضد حقوق الانسان وضربت منظمة العفو الدولية أمثلة للجمود الذي تواجه به قوات الأمم المتحدة مثل هذه الانتهاكات الخطيرة والصارخة، وقالت ان عجز المنظمة الدولية الكبرى عن اتخاذ إجراءات رادعة لوقف الانتهاكات كان له آثار بالغة في فشل عمليات السلام في بعض الدول[1].

المنظمة الأمريكية لحقوق الإنسان:

كان مبدأ حقوق الإنسان مظلة جميلة تحتمي بها الأمم المتحدة من حرارة الاشتباكات الدموية في المناطق الساخنة في العالم، وليس كهدف لإنجاح عمليات السلام، وكانت مظاهر هذا التهاون كبيرة ومتعددة، تتجلى في فقدان المصداقية وفي فشل العمليات وعدم القدرة على إيجاد الحلول الناجعة لحل النزاع».

---

(١) الأخبار المصرية - ٢٨/ ١/ ١٩٩٤م.

كان هذا الحكم الجريء في حق الأمم المتحدة هو خلاصة تقرير يقع في ١٧٠ صفحة نشرته المنظمة الأمريكية لحقوق الإنسان[1].

الجمعية الدولية لحقوق الانسان في فرانكفورت:

تفاعلت الوكالات للمعونات ومنظمات حقوق الانسان بحذر مع التقرير الخاص ببرامج التطهير العرقي التي يقوم بها الصرب، والأعمال الوحشية داخل معسكرات السجون.

هذا التقرير نشرته الجمعية الدولية لحقوق الانسان الموجودة في فرانكفورت، ويذكر التقرير اسماء ١١ معسكرا من معسكرات الصرب الموجودة داخل البوسنة جرى بها تنفيذ الاعدام بصفة يومية في بعض الأحيان.

ويقول التقرير: إن عدد القتلى وصل إلى آلاف الاشخاص في معسكري «بريجيدور» و«فوكا» كما أن الأطفال المسلمون في كوسوفو قد تم تسميمهم بالجملة في محاولة لتعقيمهم وجعلهم مصابين بالعقم.

ويقول التقرير: إن كتابة هذه الحالات الوحشية مستندة على شهادة شهود العيان التي تم تجميعها على مدار شهر كامل من التحقيق وتقصي الحقائق، وقد تم التحقق من صحتها حسب كل حالة، ويذكر التقرير في قائمته حالات القتل والتعذيب والاغتصاب. وقام بتجميع وتأليف التقارير «جون روبنسون» الكاتب المستقل. وهو أيضا سكرتير عام الجمعية الدولية لحقوق

---

(١) مجلة «لونوفيل أوبزرفاتور» الفرنسية - العدد ١٣٤ - ٢٢/٨/١٩٩٣م.

الانسان في الفرع البريطاني، وحذر روبنسون من أن عدوى التطهير العرقي قد تنتشر في الدول الأخرى ذات الأقليات مثل مقدونيا.

وقال روبنسون: لقد قمنا بعمل قائمة بالمناطق والمعسكرات الصربية التي من المحتمل أن يحدث بها أعمال قتل في هذه اللحظة. وإن المزيد من الأعمال الوحشية والفظائع سوف تحدث مالم يتم القيام بعمل حاسم.

تقرير الكونجرس عن فظائع التطهير العرقي:

جاء في تقرير لمجلس الشيوخ الأمريكي أن جماعات شبه عسكرية صربية ارتكبت فظائع على نطاق واسع أثناء عمليات «تطهير عرقي» في البوسنة والهرسك.

وذكرت لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ أن عمليات القتل التي ترتكب بصورة عشوائية ومنتقاة على السواء تعتبر «جزءا روتينيا من عملية اخلاء القرى من سكانها في البوسنة والهرسك».

وذكر التقرير الذي أعده عضوان في اللجنة زارا المنطقة التي مزقتها الحرب! أن عمليات القتل في معسكرات الاعتقال كثيرا ما يقوم بها اشخاص يبدو أنهم ساديون ويقومون بها للترويح عن أنفسهم.

وتحدث التقرير عن «مذابح منظمة تعرض لها المسلمون في بعض القرى» وأضاف أن عمليات التطهير العرقي التي ارتكبها الصرب حققت هدفها الوحشي بدرجة كبيرة.

وقد أدت الحملة الى أقامة منطقة يسكنها صرب وتغطي سبعين في المائة من البوسنة والهرسك، وإلى إقامة ممر يربط المناطق التي يسيطر عليها الصرب في كرواتيا وفي جمهورية صربيا.

وذكر التقرير أن عمليات «التطهير العرقي» يمكن أن تعتبر «جرائم حرب» وفقا للقانون الدولي. وفي الوقت نفسه قال التقرير: إن الأمم المتحدة والولايات المتحدة تلقيتا تحذيرات مبكرة إلا أنهما لم تستجيبا في الوقت المناسب، فيما يتعلق بالفظائع التي ترتكب في معسكرات الاعتقال التي يديرها الصرب.

وذكر تقرير مجلس الشيوخ أنه ظهرت أدلة على وجود هذه المعسكرات وأُبلغت بذلك الولايات المتحدة والمسؤولون الدوليون. وأضاف التقرير: «إن عدم الاستجابة لذلك يعكس النقائض المنهاجية في الأسلوب الذي يتبعه المجتمع الدولي والولايات المتحدة في مراقبة أزمة حقوق الانسان».

وإن جميع أطراف النزاع في يوغسلافيا السابقة ارتكبوا انتهاكات ضد الجماعات العرقية الأخرى، ومع ذلك فان الجانب الصربي وحده هو الذي استهدف بشكل منتظم المواطنين المدنيين».

وأضاف التقرير «نحن نعتقد أن عدد القتلى المرتبطين بالابعاد الاجباري للمواطنين المسلمين تخطى كثيرا عدد الضحايا الناتج عن قصف المدن، أو عن عمليات القتل في معسكرات الاعتقال».

وأوضح أن عمليات القتل والاغتصاب في المعسكرات الصربية كانت تتم بانتظام فقط في عدد قليل من أكثر السجون سوءا. أما في بقية المعتقلات فقد كانت عمليات القتل «سادية وتتم من أجل

الاستمتاع بها» وينفذها أفراد الحرس والجنود.

وقد بذل الصرب جهدا ضخما لمنع الصحفيين والزائرين من دخول معسكرات الاعتقال والمراكز التي ترتكب فيها اسوأ الفظائع، وكان يتم نقل السجناء المعرضين للضرب والذين يعانون من الموت جوعا قبل السماح للزائرين من الخارج بدخول المعسكرات.

وذكرت دراسة الفريق أن حكومتي صربيا والجبل الأسود تتقاسمان المسؤولية عن هذه الفظائع، لأنهما سحبتا قيادة الجيش الوطني اليوغسلافي وتركتا ٨٥ في المائة من رجاله ومعداته بما في ذلك المدفعية في أيدي قيادة طائفة الصرب، ونتيجة لذلك تمارس جماعات الصرب شبه العسكرية عملها بقذارة ضد المواطنين المسلمين، ولم يجد التقرير أي حل فوري لانتهاكات حقوق الانسان.

وأضاف التقرير أن التجاهل اللامبالي بالحياة الانسانية من جانب قيادة طائفة الصرب في البوسنة وأفعالها ضد الأقليات في المعسكرات «يمكن أن يضع هذه القيادة تحت طائلة جرائم الحرب والجرائم التي ترتكب ضد الانسان كما حددتها اتفاقية جنيف ١٩٤٩م».

تقرير رئيس الصليب الأحمر في البوسنة والهرسك:

أكد رئيس الصليب الأحمر بالبوسنة والهرسك أن عددا يتراوح بين مائة ألف و ١١٠ آلاف شخص مسجونون في معسكرات الاعتقال التابعة للقوات الصربية في يوغسلافيا القديمة.

وقال المتحدث: إنه يعتمد على شهادات لمعتقلين وسكان من البوسنة والهرسك حصل عليها الصليب الأحمر، وقدر عدد المعسكرات الصربية بـ٣٨ معسكرا.

وقال: إن هناك ٩٦ ألف شخص مسجونون في البوسنة وان عددا يتراوح بين ١١ ألفا و١٢ ألفا معتقلون في الصرب والجبل الأسود. وأكد أن «نساءا وأطفالا من البوسنة يستخدمون كدروع بشرية من قبل الصرب في أثناء المعارك».

وتفيد الشهادات التي حصل عليها الصليب الأحمر البوسني في بعض المعسكرات التي سجل فيها بوسنيون أن سوء المعاملة أصبح يوميا ومعدل البقاء على قيد الحياة لايتجاوز ١٢ يوما.

ومن جانب آخر أكد أن الصربيين يحسنون مظهر بعض المعتقلات قبل زيارة اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وهي معلومة قدمها أيضا الممثل الأمريكي لدي لجنة حقوق الانسان الدولية استنادا إلى مصادر مستقلة. وقال: إن الاضطهاد العرقي مستمر في مناطق تحميها الأمم المتحدة من كرواتيا، واتهم الصرب بخرق شروط وقف اطلاق النار هناك.

تقرير جماعة حقوق الانسان في هيلسنكي:

جماعة حقوق الانسان في هيلسنكي «هيلسنكي ووتسن» دعت إلى تشكيل محكمة دولية للنظر في جرائم الحرب التي ترتكب في البوسنة والهرسك، وسمت تسعة من زعماء الصرب من بينهم الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفتش، وزعيم الصرب في البوسنة

رادوفان كراذدتش، وقالت: إن هؤلاء يجب التحقيق معهم بسبب دورهم في المآسي التي تعرض لها السكان.

جاء هذا التقرير في الوقت الذي يبذل فيه مسؤولوا الأمم المتحدة جهودا مضنية لمنع حدوث واحدة من أفظع النماذج الصربية لعملية «التطهير العرقي» التي يقوم بها الصرب حتى الآن، وهو طرد أكثر من عشرين ألف مسلم إلى كارلوفال في كرواتيا.

وقالت جماعة حقوق الانسان في تقرير عدد عمليات القتل الجماعية والطرد وحشر الناس في جماعات في قرى صغيرة تابعة للصرب قال: إن هناك دليلا صارخا على أن مذابح قد ارتكبت، ودعت الجماعة مجلس الأمن الدولي إلى ممارسة سلطاته المخولة له بمقتضى ميثاق المذابح الذي أعلن عام ١٩٥١م والتدخل في البوسنة.

وقال جيري لابر رئيس الجماعة في حديث له: (إن القوات الصربية مذنبة لارتكابها عمليات إعدام جماعية وفردية، ولقيامها بتطويق الناس وحبسهم في معسكرات اعتقال حيث يتعرضون للضرب والتعذيب والقتل، ولقيامها بطرد السكان من منازلهم وقراهم، وارسالهم إلى الحدود في سيارات مغلقة، ثم الاستيلاء على منازلهم وممتلكاتهم وقامت بقتل السكان بصورة عشوائية في هجوم بالمدفعية، كما استهدفت رجال الاغاثة). ومضى يقول: (إن الناس ظلوا هدفا مقصودا للسلاح بسبب دينهم أو هويتهم العرقية. لقد تأثر بهذا مئات الالاف من سكان البوسنة والهرسك).

والأشخاص الآخرون الذين ضمتهم القائمة (إلى جانب الرئيس

الصربي سلوبودان ميلوسيفتش، وزعيم الصرب في البوسنة رادوفان كرازيتش والسفاح رادكو ملايتش قائد قوات الصرب في البوسنة - بلاجوي ادزيتش رئيس الاركان اليوغسلافي السابق - زيفوتا بانيتش وزير الدفاع السابق - زليكورازينيا توفيتش - فويسلاف سيسلي - درغوسلاف بوكان ميركو جوفيتس زعماء برلمان عموم الصرب).

ومضى يقول: إننا باعلان هذه الأسماء نوجه رسالة لهؤلاء الأشخاص من أنهم سيلقون عقابهم في النهاية.

وتحدثت الجماعة إلى شاب يبلغ من العمر ١٨ عاما، كان قد اعتقل وهو يحاول الهروب من قريته كوزاراك، وقضى ثمانين يوما في معسكر أوماسكا قبل أن يتم نقله إلى ترنوبولي، قال الشاب: (لقد تعرضت لضرب مبرح لدى اعتقالي. كنت أركع ويداي على الجدار وهم يضربونني من الخلف لمدة ساعتين - الناس ماتوا بسبب جراح داخلية من الضرب).

وقدمت الجماعة دليلا على مذبحة ارتكبها الصرب راح ضحيتها ٨٣ مسلما بينهم ١١ طفلا و١٦ من المسنين في قرية زاكلوبا في السادس عشر من مايو ١٩٩٣.

وعددت الجماعة شهادات أدلى بها شهود عيان عن ٢٩ هجوما قام بها الصرب على المنازل في مدينة سكيلاني، وقتل خلالها معظم الرجال، كما أعدموا محاربين عزّلا بعد أن عذبوهم بالقرب من مدينة ترافنيك، وتحدثت الجماعة عن قرى جيتو التي اقامها الصرب لغير الصرب الذين يسكنون في مناطقهم في البوسنة.

الجماعة تحصلت على شهادات مرعبة عن قرى الجيتو قالت

انها ستعرضها في الوقت المناسب. وستتابع الجماعة فظائع الصرب لاعداد سجل يمكن أن يشكل دليلا دامغا ضد أولئك الذين ارتكبوا جرائم الحرب متى مثلوا أمام المحكمة.

اللجنة البرلمانية الدولية :

بعد صعوبات كبيرة وعراقيل كثيرة وصل وفد مكوّن من ١٦ شخصية برلمانية إلى سرايفو يوم ١١ اكتوبر عام ١٩٩٣ لتقصي الحقائق والاعلان عن قيام «برلمانيون دوليون ضد الابادة في البوسنة والهرسك».

واطلع الوفد على المآسي الهائلة التي يتعرض لها البوسنيون وأهالي مدينة سرايفو الصامدة في وجه العدوان والحصار القاسي المميت، وعقدوا مؤتمرا صحفيا في سرايفو اعلنوا فيه تضامنهم المطلق مع الشعب البوسني الذي يتعرض للابادة الجماعية تحت سمع وبصر المجتمع الدولي، بل وتحت حراسة قوات الأمم المتحدة التي لم يعد الوفد يشك في صحة الاتهامات الموجهة إليها بعدم الحياد وبالانحياز ضد البوسنيين وضد جمهوريتهم ذات السيادة المعترف بها دوليا وذلك ضمن سياسة واضحة بهذا الشأن يتخذها ممثل الأمين العام ستونلبرج وزميله الوسيط الدولي أوين.

وقد تألف الوفد من عضوين في الكونجرس الأمريكي السيدين مكلوكسكي وويلسون ومسؤول سابق في وزارة الخارجية الأمريكية كان قد استقال من منصبه احتجاجا على سياسة بلاده في البوسنة السيد مارشال هاريس، وثلاثة أعضاء من مجلس العموم البريطاني،

السادة مكدونالد وهوى وريكس، وعضوين من البرلمان الماليزي السيدين بوتشيري ووى تشوكبرنج، وعضو البرلمان الاسترالي السيد فايلنج، وعضو البرلمان الأوروبي وعمدة مدينة البندقية السابق السيد لاروني، والنائب الأردني السابق السيد ليث شبيلان، وكذلك عضوي السكرتارية التنفيذية السيدين كالي من إيطاليا والآنسة جناتاكامبارا من كندا.

واتفق الوفد على تسجيل مشاهداته وقناعاته الملخصة فيما يلي:

١- أن البوسنيين ومن وراءهم كل إنسان وهيئة حضارية يرفضون حل القضية على أسس عرقية ودينية، وأنهم متمسكون - مسلمين وكرواتا وصربا - بوحدة أراضيهم الوطنية وسيادتهم الشرعية كعضو ذي سيادة في الأمم المتحدة، وقد تمثل ذلك أفضل تمثيل في المواقف التي عبر عنها للوفد الرئيس علي عزت بيجوفيتش المسلم، ورئيس البرلمان البوسني «ميركو لازوفيتش» الأرثوذكسي الصربي، وزملاؤهم المسؤولون البوسنيون من أصول كرواتية.

٢- أن جرائم ضد الانسانية تُرتكب بحق الشعب البوسني بتعريضه للإبادة الجسدية والثقافية والنفسية تحت أعين المجتمع الدولي والأمم المتحدة ومجلس أمنها المسؤولين مسؤولية مباشرة حسب المواثيق الدولية عن حماية سيادة تراب جمهورية البوسنة والهرسك وحماية الشعب البوسني من الابادة الجماعية داخل البوسنة وخارجها في صربيا وكرواتيا.

٣- لقد اندهش الوفد مما شاهده وتأكد له من انحياز جلي لقوات الحماية الدولية ضد جمهورية البوسنة والهرسك وشعبها،

وشهد كيف أن قوات الحماية الدولية تحت القيادة السياسية للسيدين متوتلبرج وأوين لاتقوم بحماية الناس بنفس الجدية التي تعمل بها على حماية الوضع القائم المستند إلى فرض الأمر الواقع المتحقق من العدوان الصربي على البوسنة. ولقد تأكد الوفد أن المهمات المكلفة بها تلك القوات مع أنها غير كافية لاتنفذ حسب المطلوب.

٤- وفي هذا المجال ايضا لفت انتباه الوفد الممانعة غير المبررة من قبل الأمم المتحدة لتشغيل مطار «توزلا» المحررة بالكامل من قبل البوسنيين والذي يعتبر متقدما من الناحية الفنية على مطار سراييفو والذي يستطيع استقبال أكثر من ٥٠٠ طن مواد غذائية يوميا.

٥- تابع الوفد بقلق الأنباء المتواترة عن انسحاب بعض وحدات الحماية الدولية من حول مدينة «سريبرينتشا» وتسليم تلك المواقع إلى القوات الصربية المعتدية المحاصرة للمدينة، الأمر الذي يتطلب توضيحا من قوات الحماية الدولية، وفعلا قام الصرب باقتحام المدينة وقتل سكانها من المسلمين والكروات واكثر السكان كانوا مسلمين.

٦- يعتقد الوفد أن الوسيطين الدوليين المسيطرين على القرار السياسي لقوات الحماية الدولية يعملان على اقتراح وحماية تنفيذ مقترحات تتناقض مع مواثيق الأمم المتحدة تحت حجة القبول بالأمر الواقع، الأمر الذي يخالف جذريا المبدأ الرئيسي الذي تقوم عليه الأمم المتحدة ومواثيقها القاضي بمنع تغيير حدود الدول ذات السيادة بالقوة، وأن الأحوال التي تفرضها قرارات هذين الوسيطين

مصممة خصيصا لتحطيم معنويات ومقاومة البوسنيين لخطط إزالة دولتهم وثقافتهم من الوجود، ولقد اطلع الوفد على الاتفاقية المقترحة من قبل الوسيطين وتأكد من أنها تعمل على سحب سيادة الجمهورية والحط من مستوى الشعب البوسني المسلم إلى مستوى أقلية قبلية .

٧- يعتقد الوفد أن سياسات الوسيطين الدوليين التي تفرضها قوات الأمم المتحدة على الواقع تسير باتجاه أقصى تعتيم إعلامي ممكن على مايجري في البوسنة، ولايمكن للوفد أن يقبل أو يتفهم سبب وضع عراقيل تعجيزية أمام الصحافة الدولية، وقد تأكد لنا أن بعض الصحفيين قد تعرضوا لمصادرة موادهم والأفلام التي التقطوها من قبل القوات الدولية .

إن هذه الأمور تضع علامات استفهام خطيرة حول مهمات القوات الدولية : هل هي مهمة إنسانية حيادية لحماية الناس والتخفيف من معاناتهم؟ أم أنها قوات احتلال تنفذ برنامجا سريا غير ذلك المعلن عنه؟

إن الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي ليتحمل مسؤولية التحقيق في هذا وتوضيح وتصحيح الأوضاع وذلك بالتأكد من أمانة المسؤولين عن الوساطة الدولية والقوات الدولية التي يجب أن تكون فوق مستوى الشبهات .

واتفق الوفد على أن واجبه يقتضي تبليغ الزملاء البرلمانيين في العالم وجميع السلطات التنفيذية لحكومات العالم وشعوب العالم أجمع أنهم يشهدون أمام الله والانسانية بأن إبادة جماعية قد جرت

ومازالت بحق الشعب المسلم المثقف العريق البوسني، وأنهم بهذه الشهادة يضعوا كل مسؤول أمام ضميره وواجباته كي يتحرك لوقف هذه الجرائم . . وبعكس ذلك فإنه بشكل أو بآخر يتحمل مسؤولية المشاركة والسكوت عن هذه الفظائع .

حلف الفضول

كلما دار الحديث عن حماية حقوق الانسان في عالمنا تذكرت حلف الفضول.

لقد خلد ذكر حلف الفضول في تراثنا من خلال ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه: **[شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم. ولو أدعى به في الاسلام لأجبت]**. وكان إبرام هذا الحلف قبل البعثة بعشرين سنة، في فترة أصاب مكة ما أصابها بفعل تفرق الكلمة وحرص كل فريق فيها على أن يكون صاحب الأمر بعد موت هاشم وموت عبد المطلب. وتروي كتب السيرة السبب المباشر للدعوة إلى هذا الحلف وهو (أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوه على العاص، وزبروه «انتهروه». فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بطاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك.

فاجتمعت هاشم، وزهرة وتميم في دار ابن جدعان، فصنع لهم طعاما وتعاقدوا، وكان حلف الفضول. وكان بعدها أن أنصفوا الزبيدي على ابن العاص.

كان مضمون هذا الحلف كما روى ابن هشام عن ابن اسحاق (تعاقدوا وتعاهدوا على أن لايجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا أقاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته). وقد سموا هذا الحلف حلف الفضول «لأنهم تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها، وألا يغزوا ظالم مظلوما» وقيل أيضا لأنه كان يشبه حلفا أبرمته جرهم في الزمن الأول تحالف فيه ثلاثة منها هم الفضل بن فضالة والفضيل بن الحارث والفضل بن وادي، اشتهر باسم حلف الفضول.

لنا أن نتأمل اليوم في أخبار هذا الحلف، ونستذكر أن أجدادنا أبرموه قبل الاسلام وقد تم ابرامه بين أصحاب السلطان في قريش الذين تعاقدوا على الوقوف مع المظلوم ضد الظالم حتى ترد عليه مظلمته. ونقف أمام اسمه الذي يحمل معنى الفضل، وأمام مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه وهو شاب في العشرين من عمره واعتزازه به وقوله عنه بعد أن أوحى إليه الله بالرسالة: **[لو أدعى إليه في الاسلام لأجبت]**. كما نقف أمام معاناة ذلك الزبيدي حين ظلمه أحد كبار القوم وتخلى عنه أحلافه فجأر بشكوى المظلوم عند الجبل، وأمام تلبية الزبير بن عبد المطلب لندائه ودعوته قومه للقيام بواجب حماية حقوق الانسان[1].

---

(١) د. احمد صدقي الدجاني - مجلة المنظمة العربية لحقوق الانسانية - عدد ٢٣ - اغسطس ١٩٨٩م.

ألا إن هذا النظام العالمي الجديد «المتحضر»!! بمؤسساته ومنظماته الدولية ليتوارى خجلا وتقصر قامته أمام حلف «جاهلي»!! تشكل قبل أربعة عشر قرنا من الزمان في «مكة المكرمة» بالجزيرة العربية وشهده رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم، والذي كان شعاره - الذي عززه وأكده التطبيق - أنه مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه، سواء أكان حرا أم رقيقا، قريشي أو غير قريشي، عربيا أو أعجميا، أبيضا أم أسودا، وثنيا أم كتابيا.

فما احوجنا - نحن العرب والمسلمين - إلى حلف للفضول يرد إلينا كرامتنا المهدرة وحقوقنا المغتصبة وما أكثرها!!

الفصل السادس

- محاكمة مجرمي الحرب .
- هل سيعترف القانون الدولي بالاغتصاب كجريمة حرب.
- مئات المقابر الجماعية ومراكز التعذيب للمسلمين .

محاكمة مجرمي الحرب

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا رقم ٨٢٥ في ٢٥ مايو الماضي ١٩٩٣م بإنشاء محكمة دولية لمحاكمة مجرمي حرب البوسنة من السفاحين أمثال راتكو وكارديتش وغيرهم من زعماء الصرب والذي أعقبه اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذه بدءا بتعيين القضاة والمدعي العام ثم تكليف لجنة بجمع وثائق الحرب واخيرا انعقاد هيئة المحكمة في لاهاي في السابع عشر من شهر نوفمبر ١٩٩٣ لمناقشة النظام الداخلي والاجراءات ايذانا ببدء أعمالها. وتعد السابقة الدولية الأولى لهذه المحكمة كل من محكمة نورمبرج التي تولت محاكمة مجرمي الحرب من زعماء النازيين ابتداء من نوفمبر ١٩٤٥ في مدينة نورمبرج بالمانيا التي كانت معقل الحزب النازي ومقر اجتماعاته السنوية الكبرى، ومحكمة طوكيو في اليابان التي بدأت جلساتها في مايو ١٩٤٦م لمحاكمة مجرمي الحرب من الزعماء اليابانيين بناء على أوامر الجنرال ماكارثر القائد الأعلى لقوات الحلفاء في الشرق الأقصى.

وقد أرسى ميثاق محكمة نورمبرج الصادر باتفاق حكومات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وانجلترا وفرنسا في لندن في أغسطس ١٩٤٥ كثيرا من القواعد التي تقوم عليها محاكمات مجرمي الحرب والتي تشكل أساسا لهذه المحاكمات بالاضافة إلى المبادىء التي يمكن استخلاصها من مداولات هذه المحكمة. وقد حددت

المادة السادسة من ميثاق المحكمة ثلاثة أنواع من الجرائم التي تقع في دائرة اخصاصاتها وهي الجرائم التي تكون ضد السلام وتشمل تخطيط الحرب العدوانية وجميع انتهاكات المعاهدات والمواثيق الدولية، وجرائم الحرب التي تتمثل في تدمير ونهب المدن والقرى والممتلكات العامة والخاصة، وأخيرا الجرائم ضد البشرية كالقتل والإبعاد والإبادة والإسترقاق والإضطهاد على أسس سياسية أو دينية أو عرقية.

ومن بين المباديء التي أقرتها محاكمات نورمبرج مبدأ عالمية القانون الذي يقضي بألا تقتصر محاكمة المجرمين على الجرائم التي إرتكبوها داخل حدود بلادهم بل تمتد إلى محاكمة الجرائم خارج الحدود كما هو الحال بالنسبة لجريمة القرصنة التي ترتكب في أعالي البحار ومع ذلك فإن كل حكومة تلتزم بالقضاء على هذه الجريمة ومعاقبة مرتكبها.

وقد أثيرت خلال المحاكمات مشكلة مشروعية توقيع العقاب على من ارتكب فعلا إجراميا بتكليف من رئيسه الأعلى. وأكدت المحكمة في هذا الشأن أن من واجب أي شخص ألا ينصاع للأوامر المنافية للقانون الطبيعي الذي يقر بقدسية حياة الإنسان وكرامته. كما أثار الدفاع عن المتهمين فكرة الضرورة العسكرية التي قصد بها أن متقضيات العمليات العسكرية قد أجبرتهم على إرتكاب بعض الأفعال التي تعتبر من قبيل جرائم الحرب. وقد رفضت المحكمة هذه الفكرة كمبرر للأفعال الوحشية وأكدت ضرورة مراعاة الأطراف المتحاربة لبعض القواعد مثل الإمتناع عن ايذاء المدنيين بالآلام غير الضرورية وغير الملائمة. ومن أغرب المفارقات التي فجرتها

محاكمات نورمبرج أن أصابع الإتهام الموجهة للزعماء النازيين كانت تشير في نفس الوقت إلى زعماء الدول الجالسة في منصة القضاء - فالسوفييت كانوا متهمين بالتخطيط لحروب عدوانية مثل غزو بولندا سنة ١٩٣٩ وفنلندا ١٩٤٠ كما أن مبدأ الضرورة العسكرية لايمكن أن يكون مبررا كافيا للولايات المتحدة لقصفها النووي لهيروشيما ونجازاكي. وهكذا كان من أهم التساؤلات التي أثيرت في هذه المحاكمات هو كيف يمكن للمجرمين أن يجلسوا في مواقع إصدار الأحكام على مجرمين آخرين. ولايمكن القول بأن إنشاء محكمة لمجرمي حرب البوسنة يدخل في إطار أخذ الثأر للمسلمين أو الإنتصار للأبرياء الذين يتعرضون لعمليات القتل والإبادة والإغتصاب والإختطاف وغير ذلك من الأعمال البشعة، ولكنه يعكس فشل الأمم المتحدة في إمكانية وقف هذه الجرائم عن طريق التدخل العسكري أو الدبلوماسي، ومن ثم فقد بات من اللازم مواجهتها بمعاقبة مرتكبي هذه الجرائم أو على الأقل تهديدهم بما يمكن أن يتعرضوا له من العقاب.

والأمل معقود على أن تكتسب هذه المحكمة صفة الجدية بحيث لايكون وجودها مجرد أداة للضغط على مرتكبي جرائم الحرب للكف عن إقتراف مزيد منها أو أن تكون أحكامها سبيلا للمساومة على غرار مايحدث من محاولات من جانب الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية لإحلال السلام بين أطراف النزاع في البوسنة مقابل رفع الحظر الدولي المفروض على حكومة يوغسلافيا السابقة «الصرب والجبل الأسود»[1]. واستكمالا لدور المجتمع الدولي في

---

(١) تم رفع الحظر لعلا بعد التوقيع على صيغة السلام بين الاطراف الثلاثة المسلمين والصرب والكروات في شهر ديسمبر عام ١٩٩٥ في باريس.

إنشاء المحاكم لمجرمي الحرب فقد تضمن القرار ٨٢٥ المشار إليه آنفا إنشاء محكمة دولية دائمة لمواجهة جرائم الحروب التي قد تقع في المستقبل مما يعد إنذارا للقوى التي يمكن أن تفجر حروبا في منطقة البلقان التي يخشى أن تمتد إلى مختلف أرجائها الحرب الأمر الذي يؤثر تأثيرا بالغا على توازن القوى في القارة الأوروبية وعلى السلام العالمي[1].

هناك نورمبرج ثانية مخزونة من أجل الذين يمارسون سياسة التطهير العرقي في البوسنة، هكذا أعلن لووتس إيجلبرجر الوزير الأمريكي الذي حدد عشرة من المرشحين للمحاكمة بصفتهم مجرمي حرب وتضمن الكشف الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش. وأضاف إيجلبرجر بأن مجلس الأمن الدولي قد عين لجنة من خمسة خبراء للتحقيق في جرائم الحرب في البلقان وهي الأولى من نوعها منذ عام ١٩٤٣ حين بدأ الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية في إسناد تهم ضد النازيين.

وفي اكتوبر الماضي ١٩٩٣ بدأ الخبراء الخمسة في صياغة تقاريرهم المفصلة عن الفظائع التي ترتكب في البلقان «إنها أمور من أسوأ ما يمكنك أن تتخيله» هكذا أورد في تقريره أحد الخبراء وهو البروفسور شريف بسيوني الاستاذ في جامعة دي باول للقانون الذي يقول بأن تلك الأمور بالغة الخطورة، لكن أي غرابة في أن كاراديتش أو أي آخر من يوغسلافيا السابقة سيمثل أمام المحكمة؟

على أحسن الفروض نظريا فإن لدى المجتمع الدولي العديد من

---

(١) د. أحمد عباس عبد البديع - الأهرام ١٩/ ١/ ١٩٩٤م.

الوسائل ليستخدمها في تطبيق قوانين الحرب . ويبدو أن نهاية الحرب الباردة ستوسع من دستورية الدفاع المحسوس عن حقوق الإنسان لكن تظل هناك معضلات ضخمة .

فمن الناحية العملية يظل أمر توثيق جرائم الصرب في البلقان أكثر صعوبة لأن النازيين تركوا دلائل جيدة كما كانت هناك سلسلة متابعة من القيادة .

وهناك أيضا إعتبارات سياسية فالكثير من أعضاء الأمم المتحدة يخشون من أن تشكيل محكمة لفظائع الحرب في البلقان يقود إلى تحقيقات عن حقوق الإنسان في بلادهم ، كما تتنبأ بعض أنشطة حقوق الإنسان أن التهديد بإقامة الدعوى سوف يخضع للمساومة كورقة للتسوية السلمية في البلقان . فالأمم المتحدة هي مجرد شكل .

يقول أحد أعضاء لجنة الأمم المتحدة «إننا نشعر بالغضب الجارف فهي لعبة بالغة الضخامة والقوانين واضحة بقدر كاف ، وأية قضية تقام ضد ميلوسفيتش أو الآخرين سوف ترتكز على إرتكاب خرق خطير لبنود اتفاقيات دولية ترجع إلى عام ١٩٠٧ التي حرمت إتفاقية «لاهاي» الهجوم على أهداف مدنية لاتتوافر لها عناصر الدفاع عن نفسها .

وهذا الأساس الجوهري تم التأكيد عليه في اتفاقيات جنيف عامي ١٩٢٩ و١٩٤٩ والتي أقامت خطوطا عريضة لمعاملة أسرى الحرب والمدنيين الذين قبض عليهم في المناطق التي دارت فيها المعارك ، ومن بين بنودها العديدة تحريم ترحيل المدنيين أو إمتهان

كرامتهم الشخصية، وبالاضافة إلى ذلك هناك إتفاقية منفصلة بخصوص جرائم الإبادة الجماعية عقدت عام ١٩٥١ وهي تحرم الممارسات التي تستهدف تدمير جزئيا أو كليا جماعات عرقية محلية سواء كانت جماعات دينية أو عرقية ويتعين على الأمم المتحدة إتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف ذلك.

إن التقارير التي تتضمن عمليات التطهير العرقي تتضمن دلائل قوية على أن انتهاك هذه الاتفاقيات قد وقع على نطاق واسع.

لكن التحقيق الكامل في وقوع جريمة يختلف كثيرا عن تجميع الاتهامات. وما قامت الأمم المتحدة بإعداده فعلا هو توفير اطار لقوة لاتحظى بأية صلاحيات أو ميزانية أو أية سلطات واضحة لعمل أكثر من مجرد تجرير أوراق. يقول أحد الأعضاء: (إن القضية قضية إرادة سياسية، وأنا أعتقد أنهم يأملون أن تتلاشى الأزمة) أما تيلفورد تايلور رئيس طاقم الإدعاء في محكمة «نورمبرج» فيرى أن المحصلة الاجمالية سوف تعتمد أساسا على التطورات السياسية أكثر من اعتمادها على التفحص في كتب قوانين الحرب.

وبالقطع، فإن ما أدى إلى محاكمات «نورمبرج» كان انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، والمنتصرون يقيمون محاكمهم الخاصة بهم.

أما في البلقان، فإن الأمر جد مختلف إذ أن الصرب هم الذين يكسبون هذه الحرب[1].

---

(١) مجلة «نيوز ويك» الأمريكية ١١/ ١/ ١٩٩٣م.

هل سيعترف القانون الدولي بالاغتصاب كجريمة حرب

نشرت مجلة واشنطن ريبورت في عددها الصادر في شهر سبتمبر/ اكتوبر ١٩٩٣ مقالا للكاتبة سوزان موليناري تقول فيه:
وصل اغتصاب النساء إلى مرحلة متقدمة ومعقدة كوسيلة للحرب في أزمة البلقان الحالية، فقد تم اغتصاب عشرين ألف امرأة وفتاة سلافية مسلمة في البوسنة وحدها طبقا لتقرير المفوضية الأوروبية الذي صدر في أوائل شهر يناير ١٩٩٣م - وكان التركيز الأساسي في عمليات الاغتصاب هذه منصبا على اللواتي يقع أعمارهن ما بين ١٠ - ٣٠ سنة. فالاغتصاب هناك قائم كاستراتيجية ضمن إطار خطة شاملة للتفريغ العرقي، هذه الخطة التي قام بتدوينها مدعمة بالاحصاءات والرسوم البيانية صحفيون، مثل «توم سويتييري» مراسل صحيفة «يو، إس، إي، تودي» الامريكية، ومدافعون عن حقوق الضحايا مثل «دوروثي توماس» من منظمة مراقبة الحقوق الانسانية وقد استقى هؤلاء معلوماتهم عن هذه الخطة من خلال ما رأوه بأنفسهم اثناء وجودهم هناك أو من خلال مصادر أولية تتمثل في ضحايا تلك الخطة الذين تم الالتقاء بهم.

وقد التقيت شخصيا في هذا الربيع بكثير من النساء اللاتي ذهبن ضحايا للاغتصاب، وذلك في اثنين من المعسكرات التي يعشن فيها في زغرب، فقد كن حاملات من الجنود الصرب ودار حديثي معهم

- بواسطة المترجمين - حول ما تحملنه من عناء الاغتصاب والاضطهاد العنيف المتواصل لهن، فذكرن أن الجنود الصرب كانوا يغتصبونهن نحو عشر مرات يوميا ولم يكن يسمحون لهن بمغادرة أماكن احتجازهن إلا عندما تبدأ آثار الحمل في الظهور عليهن ويكن قد تعدين مرحلة الاجهاض. وقد كان هؤلاء المغتصبات ينتظرن الولادة في المعسكرات التي يقمن بها في زغرب تأهبا للتخلي عن مواليدهن واستعدادا للعودة إلى قراهن في محاولة للعثور على أهاليهن، برغم مخاطر تعرضهن للقتل أو الطرد من تلك القرى أو العيش فيها منبوذات في حالة علم أهاليهن أو جيرانهن بأنهن اغتصبن من قبل الجنود الصرب لأن معنى هذا عند هؤلاء الأهالي تلطخ سمعتهن بالعار. ونظرا لقسوة المعاناة التي مررن بها لم يعد لدى أولئك النسوة المغتصبات سوى القليل مما يهمهن، بل أصبح عليهن حبس الاحساس بالمرارة الذي ينتابهن والاحتفاظ به لأنفسهن دون إبدائه للعيان فطول الوقت الذي تبادلنا فيه الحديث لم تبد أي منهن أية مظاهر للانفعال أو تعابير تدل على التفاؤل إطلاقا. ولعل مرد ذلك إلى شعورهن بأن حياتهن قد دمرت.

والاغتصاب لايعد حاليا جريمة حرب على وجه التحديد طبقا للتعريفات المبنية على معاهدة جنيف الرابعة. ويعزى هذا جزئيا إلى الاخفاق المتواصل للقانون الدولي في الاعتراف بالجرائم التي ترتكب بقصد النيل من أنوثة أو رجولة الانسان فالاغتصاب معتبر كجريمة موجهة ضد الانسانية، طبقا لتلك المعاهدة، ولكن ليس كجريمة حرب بالذات. وقد قمت بتبني مشروع قانون قدمته

لمجلس النواب يدعو الأمم المتحدة لاعتبار الاغتصاب انتهاكا خطيرا مثله مثل أي انتهاك آخر لقانون حقوق الانسان، وذلك عن طريق إدراج الاغتصاب كجريمة حرب على وجه التحديد ضمن مواد ذلك القانون.

وقد أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في شهر مايو ١٩٩٣ قراره رقم ٨٠٨ الذي تضمن وعدا بإنصاف ضحايا الاغتصاب في البوسنة وذلك بإقامة محكمة لجرائم الحرب، إلا أن العدالة مازالت في اجازة حتى اليوم بينما عمليات الاغتصاب مستمرة على قدم وساق. فمنذ مايو الماضي لم يتم تعيين أي قاض لبحث حالات الاغتصاب، ولم تتم تسمية أي عضو من اعضاء الادعاء العام، كما لم يتم اجراء سوى القليل من التحقيقات الرسمية في تلك الحالات، ان كان قد تم فعلا اجراء شيء منها. وهنا لابد من التذكير بأنه كلما بدأت هذه التحقيقات متأخرة كان من الأصعب جمع الأدلة المتعلقة بها. وكانت جماعات مستقلة لحقوق الانسان مثل منظمة «هلسنكي ووتش»، ومنظمة «مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا (سي، إس، آى) قد بدأت جولة مضنية من التحقيقات وجمع الأدلة حول عمليات الاغتصاب بالالتقاء بالضحايا في معسكرات اللاجئين ومراكز المحتجزين، كما عمل كل من شريف بسيوني - الاستاذ بجامعة «دي بول» والذي عينه الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي رئيسا للجنة خبراء جمع الأدلة في محكمة جرائم الحرب في البوسنة». و«كاثرين مكينون» الاستاذة بجامعة «ميتشجان - آن اربر» على توثيق عمليات الاغتصاب لكي يكونا على

أهبة الاستعداد لتقديم الأدلة على جرائم الاغتصاب حالما يبدأ رفع الدعاوى الخاصة بها. ويؤمل أن تتمكن هذه الجماعات وهؤلاء الأفراد من الضغط على الأمم المتحدة للتحرك باتجاه بحث هذه الجرائم.

د. شريف بسيوني رئيس لجنة جرائم الحرب المشكلة بقرار من مجلس الأمن لتقصي الحقائق في البوسنة والهرسك وتسجيل انتهاكات الصرب والكروات للقوانين والأعراف الدولية واعتداءاتهم الوحشية على مسلمي البوسنة، كشف عن أخطر ما توصلت إليه بعثات التحقيق والعقبات التي تواجهها في إنجازها لعملها الذي يعتبر الأساس لما تقوم به محكمة جرائم الحرب الخاصة بقضايا البوسنة.

يقول د. شريف بسيوني أن الإدعاءات التي وصلتنا عن الإغتصاب نحو ٣ آلاف حالة وهو أقل بكثير من الرقم الحقيقي لحالات الإغتصاب بالفعل. أما أبشع ما توصلت إليه اللجنة - وهي الجريمة التي لايمكن وصفها وستبقى في تاريخ ذلك النزاع المسلح - إننا حصرنا ٩٨ مقبرة جماعية يتراوح عدد القتلى فيها مابين شخصين إلى ٥ أشخاص في المقبرة الواحدة. . وهي جريمة إنسانية لم يرها العالم من قبل في أي نزاع مسلح. ويقول د. شريف بسيوني: إن ما رأته اللجنة وتقصته في منطقة النزاع يفوق ما يمكن للخيال أن يرسمه لأبشع معاناة قد يعيشها شعب في العالم، بالاضافة إلى الاغتصاب والمقابر الجماعية فإن إغلاق الطرق أمام إمدادات المعونة الانسانية والطبية - والذي تحول إلى ممارسة صربية وكرواتية يومية - قد زاد بصورة فظيعة من سوء الحالة داخل البوسنة

والهرسك. وفي زيارة لسرايبفو في مستشفى تعرض للقصف أكثر من مرة شاهدنا العمليات الجراحية يتم إجراؤها بدون تخدير وعلى ضوء مصباح كيروسين، بل إن سرايبفو العاصمة شهدت قتل ٣ آلاف طفل تحت سن العشرة أعوام. وخلال ١٥ شهرا من الحصار قتل ١٢ ألف شخص.

وعن اللجنة وطبيعة الصعوبات التي تواجهها للوصول بتلك التحقيقات لساحة المحكمة، قال د. شريف بسيوني: لقد أعطيت اللجنة أكبر الصلاحيات للتحقيق ولكن الأمم المتحدة لم تعطها أي موارد للقيام بمهامها وحصلت اللجنة على تمويلها بجهود شخصية[١].

السفاحون:

هذا عرض وسرد مختصر لسيرة غير مشرفة لوحوش بشرية فاقت وحوش الغابات قسوة ووحشية، وهذه القائمة المرعبة تنضم إلى قائمة أخرى سبقتها في فن الاجرام من أمثال هولاكو وجنكيز خان وتيمورلنك ونيرون وهتلر وموسيليني وستالين ومناحم بيجن واسحاق شامير وغيرهم من أمثال: ميلوسيفتش وكارادينش وميلاديتش وديفيد أوين المندوب البريطاني في البلقان والمتواطيء الياباني ابوكاشي.

- **ميلوسيفتش.. سفاح صربيا:** هذه شهادات عليه من بني جلدته وجنسه تنطق بإجرامه الفاحش:

---

(١) صحيفة «المسلمون» ٢٨/ ١/ ١٩٩٤م.

- رئيس بلدية بلجراد السابق «يوجدان يوجد انوفيتش» : ليس هناك سر في القول أن النمط السيكولوجي لميلوسيفتش هو نمط تدمير النفس والانتحار، على أنه ينقل رغبته الجنونية هذه في الانتحار إلى شعبه .

- ممثل الطلبة المعارضين للزعيم الصربي : حالما تجلس إلى ميلوسيفتش تفهم أنك أمام رجل مجنون، أما عند انصرافك والقيام بمصافحته والامساك بيده اللينة الملوثة بالدماء، فإنك تدرك أنه ليس مجنونا فحسب، وإنما هو نتن أيضا ! !

- ميركو كافاتشي . . الأديب الصربي المعارض الذي يعيش في كرواتيا : «إن ميلوسيفتش هو عقوبة حقيقية للشعب الصربي بعد أن بلغ المجتمع الصربي أدنى مستوى له» .

- عالم النفس الصربي «يوسيب بريكو درافاتس» : «يمكن تشبيه تصرفات ميلوسيفتش بتصرفات ستالين في أعوامه الأخيرة، حيث كان يحيط به حراسه الشخصيون فقط» .

- كاراديتش : طبيب نفساني، مريض نفساني ! ! - زعيم صرب البوسنة - ولد في الجبل الاسود عام ١٩٤٦ ، إنتقلت عائلته وهو فتى إلى سراييفو، لايرف له قلب، فهو كالحجارة بل أشد قسوة .

شعاره «الكذب ملح الرجال» ويرى في وزير الاعلام والدعاية النازي الالماني «جوبلز» مثله الأعلى في قوله : «إكذب . . إكذب، فلابد أن يصدقك بعض الناس» . . أعطى الأوامر بالتعذيب والاغتصاب والتصفية الجماعية ضد مئات الألوف من مسلمي البوسنة بأعصاب باردة، دون وازع من ضمير أو دين أو قيم .

- تقولُ عنه «كنينامو لا بيجوفيتش» اللاجئة سياسيا في لندن: لا أحد في سراييفو يعرفه فعلا، أو لديه فكرة عنه .. إنه يدمر مدينة لايعتقد أن له علاقة بها، إنه الجبلي الذي يكره المدن ويرفض التمازج بين البشر.

- قال عنه وزير الخارجية الأمريكي الأسبق «لورانس إيجلبرجر»: إنه يجب أن يحاكم كمجرم حرب .. لديه انفصام في الشخصية، إنه كذاب كبير ويكذب كما يتنفس.

- الصحافيون الذين قابلوه في جنيف خلال المفاوضات ذكروا: أنهم لايعولون كثيرا على تصريحاته لأنهم يعتبرونها مثل «فقاعات الصابون» أو «قطعة الثلج» التي تذوب عندما ترى الشمس.

- يقول عنه دبلوماسي بريطاني عمل معه: إنه إحدى الشخصيات التي لايؤتمن إليها في معادلة البوسنة، إنه باختصار شديد رجل يستطيع أن يدور على رأس دبوس!!

- إضافة إلى ذلك انه مزور للحقائق، بل إنه يزور بلا خجل، مثال ذلك قوله: إن سراييفو ليست محاصرة .. وأننا نقوم فقط بحماية مواطنينا من الهجمات التي يتعرضون لها من داخل المدينة وخارجها .. إن المسلمين يهاجموننا طوال الوقت، فهم يريدون ملاحقة كل البوسنيين الصربيين حتى صربيا، فيا للبجاحة والوقاحة.

- **راتكو ميلاديتش .. الضلع الثالث في مثلث الرعب**: إذا كانت وسائل الاعلام المختلفة قد اصطلحت على وصف كل من «ميلوسيفتش» و«كاراديتش» بالسفاح، فإن الجنرال راتكو ميلاديتش لايقل عنهم جرائم ووحشية، وهو يمثل الضلع الثالث في مثلث

الرعب الشيطاني اللعين، وهو مازال في حاجة إلى إلقاء مزيد من الضوء حوله ليتضح كم هي بشاعته وحجم وحشيته وتدني مستواه.

- إسمه «راتكو ميلاديتش»، قصير القامة، ممتليء الجسم، يبلغ من العمر ٥٣ عاما، قائد القوات والميليشيات الصربية في البوسنة، أي أنه المنفذ المباشر للمجازر والمذابح بحق مسلمي البوسنة.

ولد بـ«كالينوفيك» شمال البوسنة أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢، قتل أبوه ضمن من قتلوا من رفاق «تيتو» في حربه ضد الألمان، رضع الكراهية مع اللبن من ثدي أمه، نمى على الرغبة في الانتقام والنزوع إلى الافتراس منذ طفولته.

- عقب إعلان استقلال البوسنة، وبواسطة «ميلوسيفتش» و«كاراديتش» انطلق هذا الوحش الكامن الساكن جسد إنسان قميء الوجه من عقاله ليصنع مأساة العصر في البوسنة والهرسك.

- يقول أحد مسؤولي الاغاثة بالبوسنة: إن هذا «الموتور» قد أظهر براعة فائقة في التخطيط والتنفيذ والسيطرة المحكمة على جنوده في حرب الابادة ضد مسلمي البوسنة، وقد وصفه أحد ضباط الأمم المتحدة هناك بأنه عبقرية استراتيجية ولكن ضد البشرية وكل ما تعارفت عليه من قيم ومباديء.

- عندما تم الاتفاق بين القادة المسلمين وهذا «الطاغية الموتور» لوقف القتال حول مدينة «سربرنيتشا» على أن يتم تسليم أسلحتهم للقوات الدولية، وحينما بدأت قوافل إجلاء المسلمين منها قال ميلاديتش لمسؤول من المفوضية العليا للاجئين ويدعى «الورنز جوليز»: يجب أن تُحضر ٣٠٠ حافلة لحمل هؤلاء وكان فعلا أن

حضرت الحافلات ولكن وجدتهم جثثا مقطعة.

- يذكر أنه سمح لأحد الرجال المسلمين بمغادرة «سربرنيتشا» دون قتله، فقال لمسؤول دولي: ألا ترى أنني بمحض إرادتي وهبت الحياة لهذا الرجل. ثم أردف يقول ساخرا من تهديدات الغرب باستخدام القوة: يمكنهم أن يتفاوضوا معنا على كل شيء، ولكنهم لن يرغمونا أبدا على أي شيء.

ولعل الرسالة وصلت إلى الغرب المتخاذل اصلا أو المتآمر أساسا حتى يوفروا على أنفسهم الجعجعة، فقد حسم ميلاديتش المسألة وأصدر حكمه في القضية بقتل كل الرجال المسلمين القادرين على حمل السلاح وسبى النساء الشابات وقتل الاطفال.

- **اللورد الانجليزي أوين، أيضا**: إن كنا قد تعرضنا لمجرمي الحرب الصرب الذين صنعوا المأساة مباشرة بأيديهم، فإن الوسيط الدولي المستر أوين هو مجرم أيضا لأنه يتبنى فظائع الصرب بممارساته ومماطلاته.

يوصف بالفظاظة والوقاحة، وكذا بالأنانية، شديد الانفعال، لايتسامح مع منتقديه.

- يقول عن نفسه: أنا لست صبورا.. وقح في بعض الأحيان، أشعر بسعادة وأنا اتصرف على مزاجي ودون إزعاج من أحد.

- تفتقت عبقريته مع رفيقه الجديد «تورفالد ستوليتنبرج» الامريكي اليهودي عن حل يهضم ويهدر حقوق المسلمين لحساب الصرب والكروات.

- قال عنه مسؤول بوسني: ديفيد أوين يفتقر إلى الشرف ولايشعر بالخجل، لقد كان تعامله معنا مشينا، وكل وعوده معنا عبارة عن أكاذيب تتبعها تهديدات وإرهاب ليجبرنا على الخضوع للقوة وقبول مايسميه «الواقع الجديد . . لم يعترف أبدا بأن البوسنة دولة ذات سيادة، إنه مثال للرجل الانجليزي الذي يفتقر إلى المباديء والعاجز عن تبين المجرم من الضحية، بل إنه مشارك ومحرض نشيط للمجرم».

يقول الشيخ مصطفى زيريتش - رئيس أئمة البوسنة - : (تتحدثون عن معاقبة المسؤولين عن الجرائم التي ارتكبت ضد الانسانية في البوسنة، وفي الوقت نفسه تتحاورون معهم بلباقة وتدعمون غزوهم، نحن المعاقبون بالاهمال والقصف والجوع ومنع المساعدات الطبية، نحن الضحايا، فقد تقع المسؤولية أولا على ميلوسيفتش وكارادينش ومتعصبي صربيا الكبرى، لكن مسؤولية المجموعة الأوروبية ليست أقل، لأن حكوماتها لم تطبق المباديء التي تؤمن بها، لقد مارست دورها باحتقار الضعيف)[1].

لنعقد مقارنة بين محاكمة مجرمي حرب «النازية الألمانية»، ومحاكمة مجرمي حرب «النازية الصربية والكرواتية» لنرى التفاوت الشاسع في كلا المحاكمتين.

في المدينة الألمانية «نورمبرج» تم انعقاد هيئة محكمة مجرمي الحرب النازيين الألمان على عجل ودون أدنى تباطؤ في نوفمبر ١٩٤٥ وكان القصاص حاسما والعقاب رادعا لهؤلاء المجرمين،

---

(١) الحياة اللندنية ٢٩/ ٨/ ١٩٩٣م.

من أمثال «جورنج» و«هيملر» و«أدولف هيث» حيث حكم على أغلبهم بالإعدام، ورغم مضي ماينا هز النصف قرن على إجراء هذه المحاكمة إلا أن تعقب وتتبع مجرمي الحرب الألمان الذين بلغوا أرذل العمر لم يتوقف إلى يومنا هذا - حيث أن جرائم الحرب لاتنقضي بالتقادم - حيث نسمع بين الحين والحين عن القبض على أحد هؤلاء واجراء محاكمته في الحال، ومن ذلك فتح التحقيق في ٢٩ ابريل ١٩٨٨ في جرائم الحرب التي ارتكبها النازي الألماني «ألويس برونر» الذي ولد في النمسا عام ١٩١٢ وذلك بناء على شكوى تقدمت بها جمعية أبناء المهجرين من يهود فرنسا التي يديرها المحامي «سيرج كلارسفيلو»، وقد أصدر قاضي التحقيق «كلود جريلييه» الذي كان مكلفا بالملف آنذاك أمرا «بتوقيف» برونر بتهمة «إرتكاب جرائم ضد البشرية» في ١٠ يونيو ١٩٨٨.

فلنقارن بين هذه الجدية الحاسمة في محاكمة النازيين الألمان، وبين المسرحية الهزلية العبثية في محاكمة النازيين الصرب والكروات.

إن جرائم الحرب البشعة من القتل والتدمير ومعسكرات الاعتقال ومراكز التعذيب والمقابر الجماعية فضلا عن الاغتصاب قد ثبت ارتكابها في حق المسلمين بالدليل القاطع من شهادات وتقارير منظمات حقوق الانسان والبرلمانات الغربية، والتي أوردنا جانبا منها في نهاية الفصل السابق.

ورغم مرور ثلاثة أعوام على بدء هذه الجرائم فمازال الصرب سادرين في غيهم دونما خوف أو تردد، لأنهم واثقون أن الكلام عن

محاكمتهم كمجرمي حرب لايعدو أن يكون حروفا ميتة بلا حياة، وكأن النظام العالمي الجديد بتأخيره ومماطلته في إجراء المحاكمة «الفعلية» للعصابات الصربية المجرمة - كأنه بذلك - يمنحهم المهلة تلو المهلة لممارسة المزيد من أعمال القتل والتعذيب والاغتصاب والمزيد من سفك الدماء وهدم ماتبقى من المباني والمساجد والمنشآت الأثرية ومعالم الحضارة الاسلامية في البوسنة، تمهيدا لفرض واقع مأساوي جديد.

إن التهديدات بإجراء هذه المحاكمات ليست إلا مظهرا من مظاهر الخداع وذرا للرماد في العيون لأن المجرم لازال خارج الزنزانة يطبق مخططه، بل ويدافع عن إجرامه في المحافل الدولية والعواصم الغربية، فالمجرمون «ميلوسيفتش وكاراديتش وميلادتش وبوبان ونظرائهم من مجرمي الحرب» معروفون للقاصي والداني، ويتجولون بين واشنطن وباريس ولندن وجنيف ويتم استقبالهم بالحفاوة والترحاب وأعرض الابتسامات وحرس الشرف وطلقات المدافع - ترحيبا بهم - من قبل نفس الاشخاص الذين أصدروا قرارات «الادانة والشجب والاستنكار» في مسرحية يجيد الطرفان آداء أدوارهم فيها ببراعة.

وتماديا في السخرية من هذه المحاكمات المزعومة نجد السفاح «رادفان كاراديتش» يتظاهر بجهله التام حتى بتعبير «التطهير العرقي» فيرد على هذا الاتهام مستنكرا بوقاحة عجيبة «مذابح وغرف غاز ومعسكرات قتل وتعذيب واغتصاب؟! إنها من صنع خيال المجاهدين والمتطرفين المسلمين الذين يحاولون السيطرة على أوروبا»!!

الفصل السابع

- سراييفو .. بين الأمس واليوم
- سراييفو .. أيام الحصار والدمار
- تقرير الرعب
- مدن البوسنة .. وسجل الدمار
- معسكرات لاجئين .. اعتقال وتعذيب

سراييفو .. بين الأمس واليوم

توجد بدار المعارف المصرية نسخة وحيدة فريدة من رحلة الأمير محمد علي بن توفيق ولي عهد مصر السابق، التي قام بها في صيف العام ١٩٠٠ إلى بلاد البوسنة وسماها «رحلة صيف إلى بلاد البوسنة والهرسك»، وعن مشاهداته في سراييفو يقول:

(لقد رأينا المدينة كمدائن أوروبا سعة وانتظاما، وحيث أعدوا لاستعمارها ما استطاعوا وتركوا بين البيوت من الفضاء ما كان كفيلا بظهور مناظرها وتجلي مخابرها، ويجري في طرقاتها «ترامواي» كهربائي كالذي يعهده المصريون غير أن سائقه يقف في وسطه لا في مقدمه كما في مصر، أما ذلك الشارع الممتد من المحطة حتى ميدان المحافظة فواسع ورهيب، رأينا ثكنة «قشلاق» فخمة الهيئة، ضخمة البناء، وكنا إذا تلفتنا يمنة أو يسرة ترى فوق التلال المعاقل المنيعة والقلاع الحصينة، ولما كان «المستخدمون» هناك يرتدون الأردية العسكرية يُخيل للناظر لاسيما إذا كان من الغرباء أن هناك حملة عسكرية، أو هو بين جيش عرمرم).

ومن معالم المدينة التي زارها الأمير محمد علي «جامع بيجوفا» و«مدفن خسروبك» ومما شد انتباهه في هذه المنشأة قبلة المسجد ومنبره وفنونه الاسلامية، وزار أيضا مدرسة الشريعة التي قدم له ناظرها برنامج الدراسة فيها وكان يتضمن اللغة العربية والشريعة الاسلامية، ونظرا لولع الأمير بالآثار والفنون ولكونه من أشهر جامعي التحف آنذاك فقد حرص على زيارة متحف سراييفو.

وفي دليل سياحي بالصور للعاصمة طبع سنة ١٩٨٦ يمكن أن نقرأ أوصاف كالتالي : (أضواء المدينة، تماما كقطرات الندى، تشكل الظلام بأضواء لامعة اكثر من لمعان النجوم في السماء البوسنية، تماما كإحساس السائح الذي يصل ليلا إلى ضواحي سراييفو، إذا سافرت نهارا ستعثر على مدينة شرقية تشبه تلك التي توجد في الأساطير، وستذهل وأنت تخترق طرقها الواسعة ذات العمارات الحديثة البراقة أو على الطراز النمسوي في القرن التاسع عشر) كانت هكذا المدينة حتى إبريل ١٩٩٢م.

لكن المدينة التي أتأملها[١] الآن ليست سوى ساحة من الدمار، مليئة بالجراح، والأوصال الممزقة، والأحشاء، وقروح طافحة، وآثار مفزعة . . شوارع ومبان كاملة اختفت من الوجود، لاترى فيها الترامات ولا الحافلات العامة، الأشجار قطعت، والناس قابعون في مخابئهم، واجهات المباني محترقة أو مليئة بالثقوب، ناطحات سحاب من زجاج تنتصب كخلايا نحل عمياء، المرايا التي كانت أشعة الشمس تنعكس عليها وتتألق تتناوبها مناطق بصرية مفزعة، وتحفها نظرات شريرة ناقصة، سيارات خاصة وحافلات عامة متفحمة تنشر رعب الحريق في منتصف الطريق، ترامات باللونين الأحمر والأبيض ساكنة ومليئة بخروق الرصاص تصدأ إلى جوار الأرصفة التي اجتاحتها الحشائش والشجيرات الصغيرة، أسلاك الترولي معلقة بشكل خطر ما بين الأعمدة وتحتك بالأرض كالثعابين، هناك مبان لم يتبق منها سوى أسياخها الحديدية، وأكشاك وكبائن تليفونية شبه منصهرة ومدمرة، أعمدة كهربائية

---

(١) خوان غويتيسولو - الحياة اللندنية ٢٤/٨/١٩٩٣م.

ملتوية، أكوام وأكوام من الخردة، حافلات مفككة سوداء كالفحم، ولايكاد يوجد سكن واحد يحافظ على نوافذه سليمة، وفي منتصف تضاريس الدمار، هناك ساعة توقفت عقاربها على الثامنة تماما «لأي يوم، لأي شهر، لأي سنة، لا ندري!!».

تبدو مدينة سراييفو للوهلة الأولى مدينة أشباح بلا ماء ولا كهرباء ولا مواصلات عامة ولا حتى تليفون، تبدو كهيكل متفسخ، أو جسد بلا حياة، إلا أن القعقعات المتقطعة لطلقات المدافع الرشاشة، وصخب طلقات المدفعية بين وقت وآخر، وأزيز رصاصات القناصة تذكر الزائر بأن عذابه مستمر، لكن العاصمة البوسنية تقاوم ولاتزال تقف على قدميها بإعجاز على رغم حمم النيران التي تتساقط وعمليات الخنق المستمرة التي تضغط عليها من قوات الصرب الغاشمة.

- **شبح الموت:**

هذه سراييفو المدينة المغدورة التي أطبقوا عليها وأمسكوا بخناقها، ونشبوا أظفارهم في عنقها، وما برحوا يحثون السعي لإزهاق روحها، إذ يضغطون بقوة الشر الجاثم فوق صدرها، وبقسوة الضغط الدولي الكامن حولها.

رأيتها[1] مهتوكة مكدودة، وقد جحظت عيناها وشحب وجهها وتهشم، وقد نزف جسمها وتمزق سترها، فانكشفت عوراتها وانكسر قلبها، بينما رفرفت أعلام البؤس والهوان على كل جنباتها،

---

(١) فهمي هويدي - الأهرام ٢٤/٨/ ١٩٩٣م.

كانت تئن وتتوجع وتتعذب في صمت وصبر، لكنها ترفض أن تموت.

مشهد اللحظة الأولى بعد الوصول يهيء المرء لما بعده، دخلنا إلى الفندق من باب سرداب خلفي تناثرت على أرضيته قطع الزجاج المهشم، وقيل لنا أن الباب الرئيسي يمنع الدخول منه لأنه في مرمى القناصة الصرب، بعد انتهاء الاجراءات كان عليّ أن أصعد إلى الطابق العاشر على درج مظلم، وحين ينتبه المرء إلى أن الكهرباء مقطوعة والمصاعد معطلة بالتالي، يبدأ رحلة اكتشاف الحقيقة، فالمياه أيضا مقطوعة، والغاز والهواتف والمواصلات العمومية، حتى ليبدو وكأنه لم يعد هناك شيء يربط بين سراييفو وبين العصر إلا وقد انقطع!!

سرقت جولة في المدينة على دفعات، وليس في تعبير السرقة مبالغة، فالتجوال الذي نعرفه هو في سراييفو الآن رحلة إلى الآخرة.

شبح الموت يلاحقك أينما كنت، فالقذائف تنهال على الخلق من كل صوب طيلة النهار والليل من فوق الجبال المشرفة على المدينة التي يسيطر الصرب على قممها، وأنت قاعد في بيتك أو عابر في الطريق، ماشيا كنت أم راكبا أو واقفا، قد تفاجئك رصاصة أو قذيفة من حيث لاتحتسب، فضلا عن المدافع والراجمات التي تطلق القذائف بغير حساب هناك القناصة الذين يتربصون بكل مار، ويجدون ضالتهم الكبرى حين يكتشفون تجمعا للبشر حول مصدر للماء أو في سوق، فتلك فرصتهم لتحويل القنص الموجه إلى أفراد بذواتهم إلى مذبحة تجهز على كثيرين دفعة واحدة.

بسبب ذلك، أصبحت للمدينة خريطة أخرى «أمنية» لايعرفها سوى أهلها، فثمة شوارع تستطيع أن تمشي فيها مطمئنا بصورة نسبية، وهي بالدرجة الأولى المحمية بالمباني العالية، غير أن هناك شوارع أخرى يحظر ارتيادها، لأنها مكشوفة أمام القناصة، وثمة أماكن معينة في شوارع ثالثة تقع في مرمى القناصة، لذلك فعليك أن تتجنبها وتدور من حولها، وفي أماكن أخرى لاتستطيع أن تمشي منتصب القامة، بل تحني ظهرك وتخفي رأسك ثم تتحرك في حماية أحد السواتر التي أقامها الناس لانقاذ ما يمكن إنقاذه.

المدينة تحولت إلى مربعات مكرورة من الخرائب، أما الذي أصاب أهل كل بيت من فواجع وأهوال، فقد عرف العالم بعضها ولم يسمع بأكثرها، وربما صم أذانه عنها، وإن ظلت جميعها بمثابة فصول دامية في كتاب العار!!

سراييفو .. أيام الحصار والدمار

بدأ كل شيء في السادس من نيسان «ابريل» ١٩٩٢ : في ذلك اليوم حاصرت القوات الصربية مدينة سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك وبدأت المأساة الكبرى . . وكنت[١] هناك .

عام من الجنون خيم على البوسنة والهرسك وسجل فصلا جديدا من وحشية الانسان ضد أخيه الانسان. شهدنا خلال هذا العام تدمير سراييفو، لكن أهلها لم يدمروا. عشرة آلاف من القوات الصربية يحتلون دائرة عرضها مائة كيلو متر حول المدينة تعززهم مواقع المدفعية التي يزيد أعدادها على ستمائة ويشنون حملة لخنق المدينة دون قتلها وقصفها دون تسويتها بالأرض، وتطويقها ولكن دون الاستيلاء عليها وقد تحمل سكان المدينة الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف نسمة «مع أن عددهم في الأوقات العادية يزيد على نصف مليون» مكرهين أو مختارين، حصارا عنيفا دام أكثر من حصار مدينة ستالينغراد. ولم يعد في المدينة بناية واحدة لم تصبها القذائف أو نيران القناصة وربما كان في الوسع إعادة بناء الفولاذ والخرسانة التي كانت تؤلف المعمار الفريد لواحدة من أجمل مدن القارة الأوروبية، حينما أو إذا ما حل السلام، لكن روح التجانس والوئام العرقي والاجتماعي والديني . . كيف السبيل لبنائها؟!

---

(١) دون نورث – مجلة الوسط ٣/ ٥/ ١٩٩٣م.

في شوارع سراييفو تقليد من الاغتيالات إذ أن السبب المباشر للحرب العالمية الأولى كان اغتيال الدوق النمساوي «فرانز فيرديناند» برصاص أحد المتعصبين القوميين الصرب عام ١٩١٤ . وعندما يتوجه أهالي سراييفو إلى المساجد لأداء صلاة الجمعة يهرولون الخطى ويسيرون في دروب متعرجة ويندفعون كالسهام حين يجتازون الشوارع لتفادي رصاص القناصة المتمركزين في التلال المحيطة بالمدينة . وربما كان القناصة خير دليل على أسلوب الصرب العسكري في الحرب التي يشنونها على السكان المدنيين . فالجنود الذين يطلقون قذائف مدافعهم نادرا ما يرون المجازر التي تسببها هذه القذائف . أما في سراييفو فإن القناص يرى هدفه بكل وضوح من خلال منظار مكبر قوي ويطلق نيرانه على ضحيته من مسافة تصل أحيانا إلى أقل من خمسين مترا .

وإذا ما تحدثت إلى سكان سراييفو يقولون لك أن هناك بعض القناصة الذين يصوبون نيرانهم على الرأس أو الرقبة ، بينما يصوب آخرون نيرانهم على الصدر ويتخصص البعض الآخر في مهاجمة السيارات التي تنطلق بسرعة عبر شارع العاصمة الرئيسي الذي يطلق عليه السكان اسم «زقاق القناص»!!

«نينان منطار» شاب في الثامنة عشرة من عمره وهو قناص مع حرس الدفاع المدني في البوسنة يقول : (أنا لا أريد أحد ولكنهم يطلقون النار علينا باستمرار ولهذا فليس أمامي خيار . فبعد أن قتلوا خطيبتي قررت أن أصبح قناصا) .

وعندما شاهدنا امرأتين تمران من أمام المنزل الذي سلط «نينان»

منظار بندقيته عليه لم يطلق النار وقال: (إنني لا أطلق النار إلا عندما أكون متأكدا أن الهدف جندي صربي. لكنهم يطلقون النار على كل شيء، على الرجال والنساء والأطفال والعجائز).

ولا يملك المرء إلا أن يشعر بالاحباط حين يستمع إلى القذائف الصربية وهي تنهمر على المدينة كالمطر في الليل. وحين تسقط قذيفة على بعد منك تشعر بنوع من اللامبالاة الممزوجة بالأسف على ذلك الإنسان الذي راح ضحيتها.

المرضى والجرحى والحرقى:

تكشف النشرة الإعلامية التي أصدرتها وزارة الصحة العامة في البوسنة قبل وصولي بقليل[1] وبكل فظاعة حجم عمليات القتل الجماعي التي تمارس ضد الشعب البوسني منذ إبريل ١٩٩٢ : ١٤٠ ألف قتيل - منهم ٩٠٤٠ في سراييفو - و١٥١ ألف جريح - منهم ٥٣٠٩٥ في سراييفو - ومليون و٨٣٥ ألف مهجر، و١٥٦ ألف معتقل في معسكرات تسيطر عليها قوات الصرب والجبل الأسود، و١٠٠ر١٢ عاجز ومشلول - منهم ١٢٨٠ طفلا - ورقم تقريبي يتحدث عن اغتصاب ٣٨ ألف امرأة وفتاة.

يرسم مدير مستشفى «كوسوفو» فيوك كولينوفتش صورة قاتمة للوضع هناك: لا ماء ولا كهرباء منذ تسعة أيام، ولم يعد في الخزانات سوى عشرة لترات من الكيروسين لتغذية مولد غرفة العمليات لذلك يجدون أنفسهم مجبرين على إجراء العمليات

---

(١) خوان غويتيسولو - الحياة اللندنية ٢٥/ ٨/ ١٩٩٣م.

الجراحية نهارا بالقرب من النوافذ لاستغلال ضوء النهار، وفي الطرقات المكشوفة مما يجعلهم معرضين للإصابة بنيران العدو.

ثم انتقلنا إلى صالات القسم الداخلي للمرضى، فكنا نلتقي على الدرج بمصابين في طور إعادة التأهيل، مقطوعي الأيدي ومبتوري السيقان، يتحاملون على عكازات، أو دون عكازات، رجل فقد ذراعيه في غرفة يرقد فيها ثلاثة من الجرحى، ومشاهد بشعة لاتحتمل لثلاث نساء أُدخلن إلى المستشفى حديثا، إثنتان منهن مصابتان بجراح قذيفة «مورتر» أما الثالثة فقد أصابها قناص بطلقة في الرقبة وهي محملة بالقناني بحثا عن الماء.

كل حالة حكاية، وكل حكاية رعب، جلس ميروسلاف على حافة سريره بعد أن كان يحاول السير على عكازاته، فقد أصيب عندما انفجرت إلى جواره قنبلة يدويه أثناء سيره في الشارع، وظل ينزف طويلا، لأنه لم يكن باستطاعة أحد تقديم يد المساعدة له في منتصف الطريق تحت وابل القصف.

جراح الطفولة المعذبة:

في قسم جراحة الأطفال شرح مسؤول القسم كيف أنه وفريقه المكون من ١١ طبيبا أجروا عمليات جراحية لنحو ١٢٠٠ طفل منذ بداية العدوان الصربي، وهؤلاء الأطفال يعيشون في الظروف نفسها التي يعيش في ظلها باقي أقسام المستشفى، حيث يفتقدون أدنى المتطلبات العلاجية الطبية.

جناح الأطفال حديثي الخروج من غرفة العمليات يعتبر نموذجا

وعينة من معاناة مفروضة على المدينة، وتواجهني طفلة صغيرة بنظرات تائهة وعضلة ساقها الممزقة تتدلى في دلو ماء فشعرت باستحالة الوقوف إلى جوارها وتوجيه أي سؤال إليها، عرض الجرح يبدو وكأنه ترتيل للألم، «إزراه» مصابة بجرح في الرقبة نتيجة رصاص قناص، «نظيرة» ضحية قنبلة حارقة، أما الطفل «ألمير» فقد أصابته طلقات مدفع رشاش، والطفل «أيفيدين» الشاحب النحيل الذي ترتسم في عينيه نظرة البراءة مصاب بالرعب.

كيف يمكن تفسير هذا العدد الضخم من الضحايا بين الأطفال، وهل صحيح ما يقال عن أن القناصة الصرب يتلقون مكافأة مضاعفة عن كل إصابة يلحقونها بامرأة، وتتضاعف المكافأة خمس مرات إذا كانت الضحية طفلا؟!!

في جناح الأطفال والصغار أصيبت «إيلينا» ١٦ عاما بجروح بينما كانت تحاول الهرب من جحيم سراييفو، ففي وقت متأخر من الليل زحفت مع شقيقتها تحت الأسلاك الشائكة في المطار فسلطت دورية الأمم المتحدة مصابيحها الجبارة الكاشفة التي ساعدت المدافع الرشاشة الصربية على إصابتها.

وبين عشرات الأطفال في الجناح كانت «ويلدانا» أصغر المصابين سنا، فهي في الثانية من عمرها، وقد تشوه وجهها بصورة مؤلمة تبعث على الأسى، بينما كانت رجلها اليمنى مشلولة.

وتصوير معاناة الأطفال في الحروب هو أصعب ما يمكنك كصحفي أن تصوره، وحتى لو فقدت «الفيلم» تظل صورهم راسخة في ذهنك ولن تغيب عن ذاكرتك أبدا.

في جناح الطواريء في مستشفى كوسوفو يمكن التعرف على القتلى والجرحى الذين ستضاف أسماؤهم إلى قائمة الاحصاءات، إذ أن الموتى يصلون في أكفان، أما الجرحى فيصلون محمولين على نقالات لتلقي العلاج الطاريء قبل أن يتوجهوا إلى غرف العمليات، وقد رأيت صبيا أصيب برصاصة في عنقه، وعجوزا في رجله وهم يتلقون العلاج في آن واحد، وتسمع صيحات الجرحى وتشاهد بركا من الدم، وترى الأطباء والممرضات يتحركون من مصاب لآخر بصورة روتينية.

والذين يموتون في المستشفى لايدفنون بعيدا، ففي سفح التلة الذي يقع فيه المستشفى هناك مقبرة اتسعت لتشغل جزءا من ملعب كرة القدم المجاور . . هنا في هذه المقبرة دفن أهالي سراييفو كل يوم أحباءهم وأعزاءهم وخاطروا بحياتهم ليواروهم التراب، فالمقبرة طالما كانت هدفا لنيران القناصة والمدفعية الصربية، وهكذا فمن المهد إلى اللحد أنت في سراييفو هدف الصرب[1].

في الأيام والليالي الساخنة تضيق المساحات في المستشفيات، تضيق المساحات في مخازن الجثث، يجب وضعهم على الرصيف جثة إلى جوار أخرى. تضيق المساحات في المقابر، فقد كانت مشاهد الدفن من الأهداف المفضلة للقناصة، مما أدى للبحث عن أماكن أخرى أقل تعرضا للخطر، أو استغلال ساعات الغروب لدفن الضحايا في الخفاء بالقرب من الاستاد الأولمبي الذي أقيمت عليه ألعاب الشتاء ١٩٨٤.

---

(١) دون نورث - مجلة الوسط ٣/ ٥/ ١٩٩٣م.

مشهد مقابر الاستاد تعتبر نموذجا خاصا جدا، ففيما تتراوح تواريخ ميلاد الموتى التي تمتد حتى تغطي عقودا، فإن تواريخ الرحيل ثابتة، إما ١٩٩٢، أو ١٩٩٣، وسبب الموتى معروف، وبعض الضحايا مات في المقابر ذاتها!!

وهناك تجد الشواهد التي تحمل رسم الهلال والنجمة الخماسية تختلط بالصلبان الكاثوليكية أو الأرثوذكسية، وتحاصر الشواهد الرخامية للمقبرة اللا دينية التي تضم رفات كبار رجال الدولة في عهد تيتو، تتوجه كل هذه الشواهد الاسلامية والمسيحية بجميع طوائفها باتجاه القبلة، لقد وحَّد الموت بين المؤمنين من ديانات أهل الكتاب ضحايا الوحشية نفسها.

يا له من مكان غريب الذي أمضيت فيه أيامي في سراييفو، كنت أسمع دائما ما بين هدنة كاذبة وأخرى، صفير الطلقات وقعقعات المدافع الرشاشة وصخب نيران المورتر، وكنت أنام وقد وضعت في أذني كرتين من الشمع ويخامرني إحساس بأني موجود في قرية من قرى الأندلس أو قشتالة.

عمليات جراحية:

في ضاحية «دوبرينيا» صادفت[1] نموذجا يجسد إرادة التحدي والصمود.. ففي حين إعتبر الصرب أن المستشفيات والمراكز الطبية أهداف إستراتيجية لاحقوها بالقصف والتدمير، قام أحد الأطباء بانشاء مستشفى «سري» أسفل إحدى البنايات السكنية

---

(١) فهمي هويدي - الأهرام ٣١/ ٨/ ١٩٩٣م.

الواقعة خارج نطاق القصف والقنص وأقام غرفة العمليات في سرداب البناية كي تصبح في أقصى درجات الأمان.

لجأ الدكتور «يوسف حجير» - سوري من أصل فلسطيني ومقيم في سراييفو منذ ثلاثين عاما - إلى دوبرينيا هربا في ضاحية «فراتسا» التي احتلها الصرب. وكان قد عمل لمدة ٢٢ عاما كجراح في مستشفى الحوادث بسراييفو. اكتشف بعد وصوله أن الأطباء الذين كانوا يعملون في دوبرينيا -وكلهم من الصرب - تركوا المنطقة والتحقوا بجماعتهم حاملين معهم معداتهم. وحين أبلغه القائد العسكري للمنطقة بأن ستة من الجرحى المسلمين وصلوا من الجبهة وبحاجة إلى إنقاذ سريع لم يجد د. يوسف مفرا من وضع يده على أحد المحال التجارية الخالية وحوله إلى عيادة وغرفة عمليات. وجد بعض الأدوات في عيادة الأسنان فاستخدمها وأجرى بها أولى عملياته الجراحية على الأرض. استخرج رصاصة من بطن مصاب ومثيلة لها من القفص الصدري لآخر بدون مخدر وبدون إضاءة وبمساعدة إثنين من المخلصين.

عندما ذاع الأمر بين الناس تهافتوا على تقديم العون له. كل من كان لديه كيس قطن طبي أو علبة دواء أو مقص من أي نوع قدمه له. ولحسن حظه أن الشرطة المحلية وجدت في بيوت الصرب الهاربين من المنطقة كميات معتبرة من أدوات الجراحة والأدوية. وبعد ثلاثة أسابيع من بدئه العمل - أي في أواخر مايو ١٩٩٢ - كان قد وفر بصورة أو بأخرى ثلاثة أطقم للعمليات الجراحية.

في أوائل يونيو من عام ١٩٩٢ عثروا على مخزنين عامرين

بالأدوية خلفهما الصرب في سراييفو. في الوقت ذاته إستطاع د. حجير أن يعثر على طاولة خشبية بسيطة لاجراء العمليات الجراحية فيما وفرت له القيادة المحلية مولدا «كهربائيا».

في كل يوم كانت العيادة تتطور، ولحسن الحظ فإن المحل التجاري الذي بدأت فيه كانت إلى جواره محلات أخرى فارغة أو عاطلة عن العمل، حيث لا تجارة، فأصبحت الحجرة اثنتين وثلاثا وأربعا وظلت تتعدد طولا وعرضا في المكان وتتعزز في الامكانية.

صارت العيادة مستشفى كبيرا الآن بعد مضي ١٦ شهرا على الحرب. احتلت اسفل البناية كاملا وامتدت إلى بعض الشقق السكنية في الطوابق العليا، واصبحت لها أربع عيادات خارجية موزعة في أنحاء الضاحية. وصار يعمل فيها ١٤٠ مستخدما وتوفر لها أطباء في ١٢ اختصاصا مختلفا، بينهم ثلاثة جراحين. وصل عدد الأسرة إلى ٢٥ في المستشفى الأرضي ومائة في شقق البناية.

بعد أن روى قصته المثيرة قال د. يوسف أن المستشفى عالج منذ ٨ مايو ١٩٩٢ إلى أوائل اغسطس ١٩٩٣، ٦٨٩٠ جريحا، غير آلاف المرضى الآخرين. وان أصعب يوم واجهه لم يكن ذلك الذي أجرى فيه جراحة على الأرض بأدوات علاج الأسنان، ولكنه يوم ١٧ يونيو ١٩٩٢، وهو اليوم الذي سقطت فيه بأيدي الصرب منطقة المساكن القريبة من مطار العاصمة حينذاك، لم يكتفوا بالاستيلاء على المنطقة ولكنهم ذبحوا بالسكاكين ما بين ٧٠ و٨٠ مسلما حتى أجهزوا عليهم تماما. واستطاع ٤٣ جريحا أن يصلوا إلى دوبرينيا في صورة يرثى لها وكان لابد من إنقاذهم على الفور. لأجل ذلك ظل

في غرفة العمليات ٢٢ ساعة متواصلة حتى خرج آخر جريح مع ظهر اليوم التالي. ولذات السبب فإن الصرب حاولوا قصف المستشفى ٥٠ مرة لكنهم فشلوا في تدميره.

الذي فعله د. يوسف حجير يمثل حالة قصوى، وأضرابه من الأطباء البوسنويين فعلوا الشيء ذاته بدرجات متفاوتة وسجلوا بطولات بغير حصر، بعضها يرقى إلى مصاف المعجزات التي قاموا في ظلها بانقاذ حياة عشرات الآلاف من البشر الذين أشرفوا على الموت وجاهدوا بامكانيات في مستوى الصفر، لكي يؤدوا رسالتهم في ظل أكثر الظروف تعاسة ووحشية.

لقد أفشل أمثال هؤلاء الرجال والنساء الشجعان مؤامرة اغتيال سراييفو.

تقرير الرعب

لو تصفحنا إحصاءات اللجنة الحكومية لتسجيل جرائم الحرب في جمهورية البوسنة والهرسك، فإن بلاغة الأرقام الجافة تغني عن أي تعليق، واعتمدت هذه الإحصاءات من بين ما اعتمدته على شهادات ٦٥٠ شخصا، وسجلت أسماء ٢١ ألف شخص تم اغتيالهم، و٥٠٣٩ من مجرمي الحرب، و١٦٩ معسكرا للاعتقال، و١٧٢ قرية أبيدت بالكامل، و٥٥٩ مسجدا تم تدميرها، وكما يقول الصحفي البريطاني المعروف «روبرت فيسك»: (إنه تقرير الرعب).
هذا التقرير وغيره من الشهادات الدامغة التي لايمكن تكذيبها تبين بما لايدع مجالا للشك الهدف الذي يرمي إليه المتطرفون الصرب للانتقام من هزيمتهم أمام الأتراك في معركة «ميرلوس» في إقليم كوسوفو في القرن ١٤ الميلادي وهو الإبادة الجماعية لمسلمي البوسنة، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ومدلول.

ومن دون أن نتوقف طويلا أمام تلك الشهادات المذهلة والمخجلة أذكر[1] فقط تلك الشهادة التي قرأتها في التحقيق الصحفي الممتاز الذي نشره «ديفيد ريفي» في «مجلة نيويوركر» الامريكية، الذي يتضمن تصريحات «خوسيه ماريا مينديلوثي» المسؤول السابق للجنة العليا للمعونات الانسانية التابعة للأمم المتحدة «إكنور».

فالحادثة التي أستحضرها وقعت في مدينة «زفورنيتش» البوسنية

(١) خوان غويتيسولو - الحياة اللندنية ٢٦/ ٨/ ١٩٩٣م.

الصغيرة، عندما احتلتها قوات الصرب الشهيرة باسم «النسور البيض»، يقول «ميندلوثي»: (شاهدت أطفالا تحت جنازير الدبابات، أجبرهم على ذلك رجال أقوياء ينفذون أوامر أولئك الذين يحكمون سيطرتهم عليهم ويوجهونهم كيفما أرادوا!!

فهؤلاء يتبعون استراتيجية صارمة، هدفها زرع أقصى رعب ممكن بين السكان المدنيين، وتدمير أكبر قدر من الممتلكات وممارسة أبشع أصناف العنف ضد النساء والأطفال وبعد أن يكمل هؤلاء مهمتهم، تأتي السلطات الحاكمة في المنطقة -ميليشيات كاراديتش أو الشرطة - لتعيد أحكام السيطرة والنظام.

خيال فاحش:

إن الاعتياد على الكذب حتى يصدق الكذاب نفسه قد اكتمل في بلجراد وبالي - عاصمة صرب البوسنة - بفضل «الاختلاف والخيال والقدرة التي لاتبارى» في الكذب وهي أشياء يمتدحها رئيس فيدرالية الصرب والجبل الأسود فريد عصره «دوبريكا كوزيك» في إحدى رواياته التي بلغ بها أقصى قمم الاجرام.

(مكتبة سراييفو أحرقها «أتراك» علي عزت بيجوفيتش لجذب الانتباه إليهم واتهامنا بالوحشية!! والمساجد التي تم تدميرها بالقصف المدفعي من عمل المجاهدين بهدف تحريض الرأي العام العالمي ضد الصرب!! والهجوم الذي تعرض له المعسكر المتحرك لقوات الخوذات الزرق - قوات الأمم المتحدة - في حي «زيترا» سيناريو عبقري نفذه المسلمون لتخريب محادثات السلام في

«جنيف» وفتح الطريق أمام التدخل العسكري!! والمذبحة التي جرت في مدافن سراييفو تآمر من جانب الرئاسة البوسنية للتمويه على الأهداف التوسعية الاسلامية)!!

إنه شيء يشبه تماما قيام د. جوبلز - وزير الدعاية الألماني في عهد هتلر - بالاعلان عن أن يهود «أوشفيتز» كانوا يلقون بأنفسهم في أفران الغاز لاستدرار العطف وتأجيج الدعاية المعادية النازية .. هدف معروف عالميا وليس من السهل قبوله.

وهذه شهادات بعض من عايشوا المأساة .. شهادة الأرملة «إبزياميدو زرياك» ٥١ سنة، عن ماحدث في «فيشغارد» في مايو ١٩٩٢ يستحق عرضه باستطراد:

(قام عدد من قوات النسور البيض بغرز مكلاب جزار في فم جاري أحمد كارازيك ووثقوا يديه ثم ربطوه إلى خلفية سيارة وجرجروه عبر طرق القرية كلها ليراه الناس ويسمعوا صرخاته، ثم ذبحوه ولعبوا برأسه كرة القدم، وأخيرا ألقوا بأشلائه إلى النهر).

(شخص آخر من معارفي، «حسن بركو» قطعوا ذراعيه وأجبروه على شرب دمه، ثم ذبحوه وألقوا به في النهر).

(رجال النسور البيض جاءوا إلى بيتي يرافقهم أحد جيراني، استفسروا عن إبني الأكبر المجند في الجيش البوسني وقالوا انهم سيعودون مرة أخرى. أرسلت إبنتي إلى جانب آخر من القرية خوفا عليها من أن تتعرض للأذى، وحيث يمكنها أن تختبيء وتنقذ حياتها.

جاءوا في العاشرة من مساء اليوم التالي، دون أن يرافقهم جاري، ضربوني وضربوا إبني الصغير وأجبرونا على الاستلقاء على الأرض تحت تهديد المسدسات ثم أجبروني على وضع فوهة مسدس محشو بالرصاص في فم إبني وهم يضربوني بأيديهم وأقدامهم بهدف أن تنطلق في فم ابني وتقتله. وعندما أصابهم التعب من هذه اللعبة ومن دون سبب واضح تركونا وذهبوا. فقدت النطق طوال ثمانية أيام، لم أكن استطيع النطق بأي حرف).

(المسلمون الذين لجأوا إلى غوراجدة تلقوا وعودا بعدم التعرض لهم إذا عادوا، الذين صدقوا الوعود وعادوا أبيدوا جميعا، لقد حشروا أكثر من ٣٠٠ شخص داخل المسجد القديم القريب من محطة الأوتوبيس ثم اشعلوا فيه النار، لن أنسى أبدا صرخاتهم المرعبة ولا رائحة اللحم المحترق).

(حاولت بعض الفتيات الأنتحار بالقفز من الغرف التي سجنهم فيها رجال النسور البيض بهدف اغتصابهن. جارة لي وابنتها البالغة من العمر سبعة عشر عاما تم اغتصابهن وذبحهن ثم ألقوا بجثثهن إلى النهر. واستطاعت فتاة أن تهرب من بيت أشعلوا فيه النار بعد أن سكبوا عليه البترول: احترق جلد الفتاة وفقدت شعرها وصارت كجرح حي تتقيح تبدو الآن كشبح أو هيكل عظمي. امكن انقاذ حياتها وتعالج الآن في مستشفى لوبليانا. تقول: سأعيش لأكون شهادة حية).

هل شارك صرب القرية في هذه الأعمال الوحشية؟!

(نعم، تعاون الجانب الأكبر منهم في هذه الأعمال الوحشية، إنه

أمر لايصدقه عقل، لكنها الحقيقة. إلا أن أقلية منهم ظلت على الهامش بل إن بعضهم حاول مساعدتنا).

هل تعتقدي أنه في امكانك أن تعودي للعيش معهم من جديد؟

تعلو وجه «ابزيا» سحابة قاتمة وبدت عيناها كما لو كانتا تنظران في الفراغ.

(لا أدري، أعتقد أنه من الصعب أن أعود للعيش في جوار الرجل الذي أرشدهم إلينا).

كيف لي أن ألخص المشاعر والعواطف التي طبعتها المدينة في نفسي؟!

الحياة فيها تأخذ إيقاعا وتركيزا يشبهان الدوار: فالساعات تساوي أياما والأسابيع تساوي أشهرا. إن الصداقات الحديثة العهد تتحول إلى صداقات قديمة وعميقة. لأن الجدية والشوق الحقيقيين يفرضان أنفسهما علينا. المعنويات ترتفع وتتحسن. والمعاني المفككة والمطروحة جانبا خارج عجلة التاريخ تولد من جديد بقوة ونضارة بسرعة الإلتزام وشدة الحاجة إليه واستعجال التضامن. إن أشياء كانت بين أيدينا من قبل ذات أهمية تبدأ في فقدان تلك الأهمية فيما تظهر أُخر وتأخذ عظمة فجائية وتفرض نفسها كحقائق ثابتة . . إن الذين يتحدون رصاصات القناصة بخروجهم للبحث عن الماء مسلحين فقط بايمانهم والتشبث بالحياة، كل هذه الأشياء تكون صورا لايمكن محوها من الذاكرة.

أهلنا في البوسنة: مثلهم مثل أهل فلسطين لم يهنوا . . ولم يحزنوا، فهم في المقاومة . . والصبر لم ييأسوا، حتى وإن كان سلاحهم طوب الأرض الممزوج بدمائهم.

سقط منهم ٢٥٠ ألف شهيد من بينهم ٧٠ ألفا قضوا نحبهم في مجازر جماعية . . ومثل الصربيون بأجسادهم . . ولم ييأسوا. وجرحاهم أكثر من عدد شهدائهم. ولم يهنوا . . واصبح من بينهم ١٥٠ ألف معاق . . ولم يستسلموا. أما المعتقلون في معتقلات، تقشعر لما يجري فيها أبدان أتباع هتلر، فقد وصل عددهم ٣٠٠ ألف، لكن المشردين بلا مسكن ولا مأوى عددهم مليون و٨٠٠ ألف هجروا في داخل البوسنة والهرسك، و٣٧٥ ألفا هجروا إلى خارج أراضي الدولة.

أتعرف ما هو العدد الكلي للشعب المسلم في البوسنة والهرسك . . إنه أكثر من ٣ مليون نسمة . . بقليل. إذن أعد الحساب لتعرف حجم الكارثة.

- **مدينة فوتشا :** وغالبية سكان المدينة مسلمون ويبلغ تعدادهم ٢٠٠٠٠ نسمة، جرت فيها أعمال وحشية وفاشية لم تشهدها أي منطقة في العالم، الغالبية العظمى لمساكن المسلمين سرقت ثم أحرقت، واخرجوا اهليها بالقوة أو منعوا من الخروج اثناء اضطرام

النيران فيها، وقام الصربيون بنحر المجموعة التي حاولت الهرب من جحيم المعارك، وحاولوا إلقاء القبض على كل المسلمين من ذوي المكانة العالية في نفوسهم، أمثال الأئمة وأعضاء المشيخة الاسلامية والمفكرين والعلماء من المسلمين.

أقاموا معتقلات جماعية في المدينة وأعدوا لها محاكم عسكرية وقادوا آلاف المسلمين اليها ثم بدأوا في إصدار أحكام القتل على الشخصيات الاسلامية البارزة من ذوي المراكز الحساسة في المدينة وهدف هذه المعتقلات هو قتل أكبر عدد من المسلمين وحجزهم واستعمالهم كدروع بشرية أو رهائن. وإلى الآن لايعرف مصير هؤلاء الأبرياء ولم تسلم المساجد من أعمالهم الوحشية أيضا في المدينة، فقد اعتدوا على بيوت الله واتلفوا محتوياتها وسرقوا كل ما يمكن حمله.

- **مدينة فيشكراد :** ويسكنها أكثر من ١٧ ألف مسلم: قام المتطرفون الصرب بالهجوم على المدينة بعد القصف المدفعي الثقيل للجيش الفيدرالي اليوغسلافي والذي يسيطرون عليه، وقد تعرضت القرى التي يسكنها المسلمون لحالات سرقة وقتل وحرق، مما أدى إلى خروج قوافل بشرية من «مسلمين وصرب وكروات» هاربة من الجحيم الصربي المتطرف إلى القرى والمدن المجاورة. أما السكان الذين استجابوا لنداءات الجيش الفيدرالي اليوغسلافي بالبقاء وتسليم أسلحتهم وعدم المقاومة، فقد جمعوا بمرضاهم وشيوخهم وأطفالهم ونسائهم في معسكرات أعدت لهذا الغرض وبدأوا باستفزازهم والتحرش بهم، وأي مقاومة أو أي استنكار لهذه

الأعمال معناه النحر، وحاولوا مسك كل الأئمة لقتلهم، وألقوا القبض على بعضهم وذبحوهم ومثلوا بجثثهم، وقال شهود عيان إن أكثر من ٤٠٠ مسلم قتلوا بأيدي أعضاء الحزب الديمقراطي الصربي المتطرف مع بعض المتطوعين من صربيا والجبل الأسود.

- **مدينة جاينيجة**: ويسكنها أكثر من ٤ آلاف مسلم: في هذه المدينة تمكن الصربيون المتطرفون من السيطرة عليها، واخراج جميع المسلمين والاستيلاء على ممتلكاتهم والنزول في منازلهم والسكن فيها، وعثر الصحفيون الأجانب الذين دخلوا المدن على عشرات الجثث وقد مثل بها، وفي قرية أوستيكولينا التي يسكنها المسلمون تعرضت أيضا للقصف المدفعي الثقيل، وأدى القصف إلى هدم أقدم مسجد «جامع أمين توهران بيكوفا».

- **مدينة فلاسنيسا**: ويسكنها أكثر من ١٥ ألف مسلم: وهذه المدينة ذات أغلبية مسلمة وفيها جرت معارك دامية وطاحنة، وأدت إلى تخريب مساكن المسلمين وهدم جميع المساجد في المدينة بحيث لايمكن للمسلمين هناك أن يسمعوا الأذان وأن يقيموا الشعائر الدينية وأغلب السكان من المسلمين انتزعت أسلحتهم بالقوة. وفي احد الشوارع الرئيسية القريبة من المدينة - وأثناء مرور مجموعة من الصحفيين الاجانب - تم العثور على عشرات الجثث هاوية على قارعة الطريق لاتجد من يكرم مثواها. أما ما يخص القرى المجاورة للمدينة فقد أرغم المسلمون على اخلاء قراهم والخروج منها، وفي اثناء خروجهم تم القبض عليهم ووضعوهم في معسكرات جماعية، واستطعنا أن نحصي ٨٠٠ منهم. وفي احدى القرى المجاورة للمدينة تم العثور على ٤٠٠ ضحية من جثث الأبرياء.

- مدينة براتوناس : المسلمون بها أكثر من ٢٥ ألف نسمة، لم يبق فيها الآن أي مسلم حي، المدينة كلها وقعت تحت سيطرة الصرب المتطرفين.

في بداية الأحداث تم توقيع اتفاق بين المسلمين والجيش الفيدرالي على أن يقوم المسلمون بتسليم اسلحتهم ويقوم الجيش بحماية المدينة من المتطرفين المرتزقة، وبعد أن أخذ الجيش الأسلحة طردوا جميع المسلمين من اشغالهم وبدأوا في استفزازهم والتحرش بهم واهانتهم، وبعدها جمعوا جميع المسلمين في الملعب الرياضي الكبير وبدأوا في فرزهم الى مجموعتين : الأولى قادوها إلى معسكرات جماعية، والأخرى للاستجواب والضرب واستعمالهم كرهائن. وخلال ثلاثة أيام قتل ٣٠٠ مسلم وألقوا في نهر درينا وحفروا للبعض الآخر حفرا ودفنوهم فيها بعد أن مثلوا بهم. وقد تم العثور على عدد كبير من جثث النساء والبنات المسلمات وهن عراة وقد اغتصبن عنوة وقطعت صدورهن ومثل بهن. وتم العثور أيضا في منطقة أخرى على جثث مجموعة من الاطفال دون سن الخامسة. ومن الأعمال التي جرت والتي تدل على مدى حقد الصرب على الاسلام والمسلمين ما فعلوه بامرأة بعد أن قتلوا ابنها الصغير، حيث طلبوا منها أن تشرب دمه، واستغل الصرب المتطرفون انفرادهم بالمسلمين الجرد من الأسلحة لكي يسحبوا اكبر كمية من دمائهم وهم احياء ليستفيدوا منها لمعالجة جرحاهم. وقاموا بقتل إمام المدينة الشيخ مصطفى ميوكوفيتش عضو رئاسة الجمعية الاسلامية.

- **مدينة زفورنيك :** ويسكنها أكثر من ٧٠ ألف مسلم : قامت المليشيات الصربية المتطرفة بدخول المدينة ، وقاموا بهدم وحرق بيوت المسلمين بعد أن قاموا بقتل نحو ألف مسلم وهدموا ثمانية مساجد وجمعوا ٧٠٠ مسلم ووضعوهم في معتقلات مؤقتة ، وتم العثور على مجموعة أخرى من جثث النساء والأطفال والشيوخ وقد القوا في نهر درينا . . وأمسكوا بعض الصحفيين الذين وصلوا إلى المدينة وقاموا بقتلهم ، والمسجد الكبير لم يسلم من أعمالهم ، حيث اضرموا فيه النيران ورفعوا على مئذنته العلم الصربي ، وفتحوا مكبرات الصوت ووضعوا أغانيهم القومية الفاشية . وفي إحدى القرى التابعة للمدينة عثر على ٤ جثث وقد مثل بها ، واقتادوا ٣٥٠٠ مسلم إلى صربيا والجبل الأسود للعمل عندهم كعبيد .

- **مدينة بيلينا :** وفيها نحو ٤٠ ألف مسلم : في هذه المدينة حدثت مجازر لم يشهدها التاريخ في أي دولة في العالم ، لا يستطيع أي إنسان غير صربي من دخول المدينة ، وما عرف عنها هو أن أغلب مساجد المدينة قد دمرت وسويت بالأرض ، فما بالك بالمسلمين؟!

- **مدينة برجكو :** وفيها نحو من ٢٠ ألف مسلم : استطاع الصرب المتطرفون السيطرة على دار الاذاعة وطلبوا من المسلمين ألا يخرجوا من بيوتهم وإلا فسيقتل كل من وجد في بيته ، وبعد خروجهم قتلوا أكثر من ألف مسلم منهم .

- **مدينة دوبوي :** ويسكنها أكثر من ٤٠ ألف مسلم : وبلغ عدد المساجد التي طالتها المدفعية عليها وهدمتها نحو ١٥ مسجدا «منها مسجد السلطان سليم المبني في القرن السادس عشر» ، ولم يكتفوا

في هذه المدينة بهذه الأعمال بل تعددت إلى أغلب الأوقاف الاسلامية أو الاستثمارية التابعة للمشيخة الاسلامية، ثم تحولوا إلى أئمة وعلماء المدينة وألقوا القبض عليهم، ومن بينهم إمام وعالم المدينة فهريد رزده وبعض الشخصيات الاسلامية البارزة وقادوهم إلى معسكرات جهزت لهم ولايعرف مصيرهم. وفي إحدى القرى المجاورة للمدينة قاموا بمجزرة راح ضحيتها نحو ٢٠٠ مسلم وألقيت جثثهم في الأنهار.

– **مدينة بوسانسكي** : ذات الأغلبية المسلمة ويبلغ تعدادهم أكثر من ٤٠ ألف نسمة : في هذه المدينة استطاع الصرب الحاقدون على الاسلام والمسلمين أن يهدموا الجوامع السبعة في المدينة وإخلاء المدينة من أي مكان تقام به صلاة الجماعة، وقد ركز الصرب المتطرفون على قرية عربيوشا بسبب انتماء رئيس العلماء المرحوم جمال الدين حاوشفج «الذي فصله الصرب من منصبه لنشاطه الديني بعد الحرب العالمية الثانية» إليها. وتدل هذه الأعمال على أن الصرب المتطرفين يتوارثون حقدهم على الاسلام والمسلمين. وعلى الرغم من مرور قرابة الأربعين عاما على وفاة الشيخ الجليل، فإنهم الآن يكرهون القرية التي ولد فيها هذا الشيخ.

– **مدينة بوساسكي بتروفسيا** : وفيها المسلمون أقلية، نحو ١٨٪ من أصل ١٥ ألف نسمة أغلبهم من الصرب : استغل الصرب المتطرفون سيطرتهم على إدارة شؤون المدينة فطلبوا من المسلمين – وبالقوة – الانضمام إلى التجنيد الالزامي الذي أعلنته ما تسمى بالحكومة الصربية في جمهورية البوسنة والهرسك، واقتادوهم إلى

الخطوط الأمامية ضد الحرس الدفاعي المسلم وارتدوا الملابس التي يرتديها أعضاء المليشيات الصربية المتطرفة.

- **مدينة بانيا لوكا :** عاصمة ما تسمى بالحكومة الصربية في جمهورية البوسنة والهرسك ومركز التخطيط للأعمال الفاشية ويسكنها غالبية صربية وعدد المسلمين ١٥٪ من التعداد الكلي: أغلب المسلمين فصلوا من أشغالهم وأجبروا على الرحيل، أما بيوتهم وممتلكاتهم فقد استولى عليها اللاجئون الصرب من مدن ثانية، وخاصة من أعضاء الحزب الديمقراطي الصربي المتطرف. لم تطلق قذيفة واحدة على المدينة بل وضعوا القذائف في المساجد وفجروها، ومن ذلك جامع فرهاديا - من أجمل الجوامع في البلقان المبني في القرن السادس عشر والذي لم يسلم من التفجير - وأغلب الجوامع آلت إلى نفس المصير، وأغلب المسلمين اعتدي عليهم وسرقوا، وأحصيت نحو ١١٠ سرقات لمساكن المسلمين في يوم واحد، حتى المقابر لم تسلم من أعمالهم التخريبية حيث وضعوا بعض العبوات الناسفة وفجروها.

- **مدينة مودريج :** ويسكنها ٣٥٫٤ ألف نسمة منهم ٢٩٪ مسلمين، ٣٥٪ صربا، ٢٧٪ كرواتيين: في بداية الحرب - ولمدة شهرين كاملين عاشت هذه المدينة أياما صعبة جدا من الحصار الكلي عليها والقصف المدفعي الشديد، خمس جوامع هدمت من القصف المدفعي، وأحرقت كل القرى التي سكانها من المسلمين والكرواتيين تماما، وبعد تحرير المدينة عثر على عدد كبير من جثث النساء والفتيات وهن عرايا وقد ألقين من أسطح البنايات، وأغلب

الشوارع كانت مملوءة بجثث المسلمين، وقد أحصيت ٦٠٠ جثة منهم، كما عثر على جثث مقطعة للأطفال وقد وضعت في خلاطات الأسمنت.

- **مدينة موستار**: عاصمة مقاطعة هرسك والتي يسكنها أكثر من ١٢٦ ألف نسمة الغالبية العظمى منهم مسلمون، عدد الصرب ١٩٪ منهم، والكروات ٣٤٪. في هذه المدينة نستطيع أن نقول بعد أن تحررت أنها دمرت بكل معالمها الأثرية الاسلامية ما عدا جسرها القديم «رمز المدينة» واكثر من ١٨ جامعا اتلف، ولم يبق أي مسجد يمكن أن تقام به الصلاة. الخسائر البشرية لا تحصى وقد استعمل الكروات والصرب كل ما يملكون من الأسلحة وحتى الأسلحة التي تحدث الدمار الشامل.

- **مدينة سراييفو**: عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك والتي يسكنها أكثر من ٦٠٠ ألف نسمة منهم ٤٩٪ مسلمين، و٧٪ كروات و٢٨٪ صربا والباقي من قوميات مختلفة: هذه المدينة من بداية الحرب كانت هدفا للقصف المدفعي بمختلف أنواع القذائف. وقد تم القاء أكثر من ٢٠٠ ألف قذيفة حتى ساعة إعداد التقرير، ودمر ٤٠ جامعا من أصل ٨٠ جامعا، وأغلب الأوقاف الاسلامية وضعوها هدفا لأي هجوم «لامجال للحصر» وحتى مستشفيات الولادة، والمؤسسات الحكومية والوزارات، ومحطات النقل، وتركز القذف على الأحياء السكنية التي يكثر فيها المسلمون، واستغل الجيش الصربي السكنات العسكرية في وسط المدينة والجبال التي تحيط بالمدينة في القاء القنابل، وحتى الطائرات شاركت في قصف مواقع قوات الدفاع البوسنوي. ونستطيع أن نقول - وبكل تأكيد - أن

معدل مجموع القتلى يوميا في مدينة سراييفو ٤٠ ضحية.

تلك هي شهادة علماء الاسلام في البوسنة .. تقطر دما .. ودموعا وألماً يعتصر القلوب[1].

والقرى أيضا !!:

يذكر الكاتب البريطاني «بوب ستيوارت» في كتابه «حياة محطمة» ما حدث لقرية «أحميشي» حيث شبهها بصور التقطت لقرى سويت بالأرض في الحرب العالمية الثانية، ويعطي تفاصيل دقيقة لعمليات الحرق والمجازر الجماعية لمسلمي أحميشي.

نقل تلفزيون «بي. بي. سي» البريطاني مشاهد من تدمير القرية وتناقلتها محطات التلفزيون العالمية، أما تفاصيل المجزرة فعرفت في الأسابيع التي تلت نشرها من خلال لجنة تحقيق عن حقوق الانسان تابعة للأمم المتحدة، ومعلومات من سكان القرية الذين نجحوا في الفرار.

ففي الساعة الخامسة صباح يوم تدمير القرية، صاح أحد المجرمين بالتعليمات: (إبدأوا بقتل الرجال، ثم الأطفال الذكور، ثم الباقي، دمروا أي شيء مسلم).. ثم قام المجرمون - وكانوا جنودا كرواتا - بالاعتداء على أحميشي.

لعب الكرة بالجماجم:

«فوتشا» حرقها المجرمون عن آخرها فتحولت إلى كومة أو بقعة

---

(١) من جريدة الشعب المصرية - طلعت رميح ١١/٦/١٩٩٣.

شديدة السواد، وقبل العيد بيومين - كما يحكي أهلها - جرت فيها مجازر يشيب لهولها الولدان . . شحنوا دفعات من أهلها في جرّافات قامت بدفنهم تحت الأرض أحياء حتى لا يظهر لجريمتهم أي أثر[1].

قال لي المهندس «محمد تشنجتشن» - نائب رئيس وزراء البوسنة - وهو من أبناء هذه المدينة الذين نجوا من الإبادة: إن الصرب يتلذذون برؤية دمائنا في وحشية مجنونة . . إنهم ليسوا بشرا أبدا وإلا فكيف يتحمل بشر على نفسه رؤية جماجم الأبرياء منثورة في الشوارع، بل وأي قلب بشري هذا الذي يتلذذ صاحبه بلعب الكرة بهذه الجماجم . . هذا ما فعله بالضبط مسؤولون من الحكومة الصربية. وزير الإعلام «أوستستش» وأحد أعضاء البرلمان «مكسيمويبتش» شاركا بأيديهما في ذبح رجال المدينة وفصلوا رؤوسهم ثم لعبوا بها الكرة في الشارع!!

يضيف المهندس محمد تشنجتشن والدموع تكاد تقفز من عينيه: وماذا أقول عن الشيخ «سرناه» إمام مسجد المدينة الذي ذبحوه بعد أن ذبحوا أولاده الخمسة أمام عينيه؟! وصديقي سليموفيتش الذي منعوه بالقوة من الاقتراب من أمه المريضة أو تقديم الطعام أو الدواء إليها حتى ماتت أمام عينيه . . ثم ذبحوه؟ أو هذه الأم المسكينة التي تبادل عليها أربعة من المجرمين الصرب وانتهكوا عرضها أمام ولديها إنهم ينظرون إلى أي مسلم على أنه تركي غاز يجب طرده إلى خارج البلاد، وهذا الاعتقاد ليس وليد اليوم ولكنه موجود منذ القدم،

---

(١) شعبان عبد الرحمن - جريدة الشعب المصرية ٢٣/ ٦/ ١٩٩٢م.

وللأسف فقد كانوا يدرسون هذه المعاني للأطفال في المدارس ومن بينهم أطفالنا!!

أضحية العيد من المسلمين :

ويوم وقفة عرفات عام ١٩٩٣ وبينما المسلمون يستعدون لأداء صلاة العيد قدم الصرب المجرمون على ارتكاب جريمة بشعة بوضع ٤٧ شخصا من أهالي قرية «فيش جراو» داخل سيارة كبيرة ثم ذبحوهم فردا فردا ثم ألقت بجثثهم في نهر «الدرينا» الفاصل بين جمهورية البوسنة وصربيا لكي تصل إلى أهل البوسنة صبيحة يوم العيد كهدية بسيطة من الصرب للمسلمين في عيد النحر.

ثم اقتادوا أبا وابنه واسمه محمدا وذبحوا الإبن أمام عيني أبيه فخارت قواه وانهار فلم يرحموه بل زادوه تعذيبا وتحطيما وأمروه تحت تهديد السلاح أن يشرب من دم ابنه وقاوم ثم ما كان منهم إلا أن وضعوا دم ابنه في فمه.

إن معظم القتلى والمذبوحين رسم الصرب على أجسادهم الصليب بسكاكين الذبح . . فشل المتوحشون في تنصيرهم أحياء - ولو بالقوة - فأبوا عليهم ألا يدخلوا قبورهم إلا والصليب عليها!!

ويبكي هذا الشيخ العجوز «إبراهيم دتسن ٦٦ سنة» وهو يسألني: ماذا يمكن أن تقول في الذين وضعوا الأطفال في قرية «مزرتشو» في خلاطات الأسمنت لتفرمهم أمام أمهاتهم وآبائهم؟! وتزداد الدموع غزارة من عينيه، وهو يواصل تساؤلاته الحزينة: وماذا تقول فيمن أبوا على الرجال أن يموتوا بسرعة فأجروا عليهم

عمليات الموت البطيء بسحب دمائهم بحقن حتى يتم تصفيتهم ويسقطوا موتى . . إنهم يأخذون دماءنا لإعطائها لجرحاهم ممن يحتاجون لنقل الدم ! !

في شمال البوسنة :

وأترك هذا الشيخ المسكين ودموعه لأتجول في منطقة «بوسناس كيبروت» شمال شرق البوسنة شاهدت خلالها - وعلى امتداد عشرين كيلو مترا - ما يقرب من عشر قرى، وقد احترقت بالكامل ورأيت أكواما من زجاجات الخمر الفارغة كان الصرب يشربونها خلال احتفالاتهم بذبح المسلمين . . كما شاهدت محطة كهرباء ومعمل تكرير البترول الذي يغذي المنطقة وقد احترق بالكامل .

وعندما وصلنا إلى قرية «كوليبة» ذكر لي أحد السكان العائدين إليها أن الجيش الصربي عند احتلالها جمع السكان وزعم أنه جاء لحمايتهم، ولكن سرعان ما تبدد هذا الزعم عندما سلمهم للمليشيات التي قامت بذبحهم في فناء القرية .

وفي قرية «جورينا توليب» تحولت المدرسة الوحيدة إلى خرابة مهجورة بعد أن دمرها الصرب وأحاطت قذائفهم الطائشة بمئذنة المسجد بعد أن حطموا منبره . . وذكر «أومين بيهار» أن الجيش ألقى بقنابل في هذه القرية بلغ وزن الواحدة نصف طن، مما حول المنطقة إلى منطقة مهجورة .

معسكرات لاجئين .. اعتقال وتعذيب

لم تعرف أوروبا حركة هروب بشري جماعي بمثل هذه الكثافة من بعد هتلر وستالين، لقد استولى الذهول على العالم في أعقاب اكتشافه لوجود معسكرات اعتقال أحيت في الأذهان أحلك الذكريات المختزنة في وجدان الدول الغربية من فترة قاتمة من تاريخها المعاصر ولكن يبدو أنها سرعان ما تناسب ذلك، حيث لم تعبأ بمصير القابعين في معسكرات الاعتقال من مسلمي البوسنة، وفي مؤتمر «لندن» الذي انعقد خلال شهر اغسطس ١٩٩٢ تعهدت الحكومات الغربية بإخلاء هذه المعسكرات من المعتقلين، وبالرغم من نداءات الاستغاثة التي توجهها المفوضية العليا للاجئين فلاتزال أعداد كبيرة من المعتقلين في معسكرات بشعة نصبها الصرب والكروات للمسلمين.

لقد ألقت حرب البوسنة بثلثي شعبها خارج أرضه فتشتتوا في أكثر من إحدى عشرة دولة أوروبية من دول الجوار، فجمهورية سلوفينيا وهي من دول الاتحاد اليوغسلافي القديم والتي تقع شمال البوسنة تأوي ٣٠ ألف نازح معظمهم من الأطفال، وجمهورية مقدونيا وكانت ضمن يوغسلافيا السابقة أيضا وتقع جنوب البوسنة تأوي ١٢٨ ألف نازح بينهم ١٥ ألف طفل، ولجأ إلى المجر ٤٥ ألف مسلم، وهناك ٢٠٠ ألف لاجيء آخرين على الحدود، كما لجأ ٣٠ ألف مسلم للنمسا، و٢٠٠٠ لتركيا، و٥٠٠ لايطاليا، و٥٠ ألفا

لألمانيا، واعداد ضخمة إلى السويد والدنمارك والنرويج وفنلندا. وتتركز الغالبية العظمى من اللاجئين في كرواتيا حيث يوجد بها ما يقرب من مليون لاجيء تم توزيع غالبيتهم في مراكز في العاصمة «زغرب» ومدينة «سلبت» الواقعة على البحر الأدرياتيكي.

وقد قمت[1] بزيارة هذه المراكز التي تبلغ أحد عشر مركزا، وحالة اللاجئين فيها مأساوية، حيث تم حشدهم في خيام في الحدائق العامة والصالات الرياضية والأبنية الهالكة، النوم بالمئات على الأرض، أو على أسرَّة ثلاثة أدوار، الزحام شديد في دورات المياه، أدوات النظافة قليلة، والطعام قليل، والحالة النفسية منهارة، وقد بدأت الأوبئة تهاجمهم.. الجرب يظهر على أجسادهم، والحشرات تعشش في ملابسهم، بكاء الأطفال وصراخهم لاينقطع من هول ما رأوه من مذابح لاينسون صورها.. ولا أنسى تلك الطفلة «عابدة» - ٤ سنوات - التي ذبح أبوها وأمها وجدتها وعمها، ونجا بها جدها الكهل واستطاع الهروب معها من منطقة «فوتشا» وهي مصابة بثلاث شظايا، وهذه الطفلة تتسبب في بكاء المعسكر كله كل مساء، فمع دخول الليل تظل تنادي على أمها وأبيها بكلمات باكية، وصرخات عالية تتقطع لها القلوب.

ومع هذه الأوضاع المأساوية يجد اللاجئون أن معظم الأيدي الممتدة اليهم بالمساعدات أيد غير إسلامية جاءت لتقديم لقمة الخبز وقارورة الدواء في مقابل أن تسرق منهم عقيدتهم. هناك أكثر من ١٩٠ لجنة تابعة للكاريتاس العالمي - وهي منظمة كنسية تنصيرية -

---

(١) شعبان عبد الرحمن - جريدة الشعب القاهرية ٣٠/ ٦/ ١٩٩٢م.

تقدم خدماتها لهؤلاء اللاجئين المسلمين، وهناك الصليب الأحمر، ومنظمة أطباء بلا حدود . . وبعض الجهات الاسلامية كهيئة الاغاثة الاسلامية السعودية التي قدمت الكثير من الجهود الطيبة.

- **داخل المعسكر :** عندما نظم بعض المنظمات الاسلامية المعروفة باسم «سبيور» في هولندا مسيرة إلى كرواتيا بالسيارات للتنديد بمذابح المسلمين في البوسنة رافقت[1] الرحلة الشاقة التي استغرقت ٦٠ ساعة ذهابا وإيابا، مرورا بألمانيا والنمسا، ثم سلوفينيا ومنها إلى كرواتيا.

وحاولنا البحث عن معسكرات المسلمين وبين وجود ١٥ معسكرا في أماكن متباعدة، وأن أكبر المعسكرات في أقصى شمال زغرب، أي بالقرب من منطقة الخطر، ويطلق عليه «معسكر الزابورجا»، يقع المعسكر على مساحة ٢٥٠ ألف متر مربع يسع ١٢٠٠ لاجيء، ولكن لم يكن به سوى ٨٠٠ فقط لتدهور أحواله وسوء المعيشة به.

كان كل شيء يدل على تدهور أحوال المعسكر من رعاية وغذاء فالغرف تشبه الزنازين في المساحة، ودورات المياه في حالة غير آدمية، والطعام لايغني أو يشبع من جوع، لهذا تقلصت أعداد الموجودين فيه، وفضل بعضهم العودة إلى أماكن القتال ليواجهوا مصائرهم هناك، ممرات المعسكر ضيقة مختنقة بالغرف الصغيرة جدا المزدحمة بالأسر، عائلتان أو أكثر داخل الغرفة الواحدة، الأسرَّة قذرة ويعلو بعضها بعضا، الحشرات الطائرة يعج بها المكان

---

(١) فكرية أحمد - الوفد القاهرية - أول اكتوبر ١٩٩٣م.

وتشارك اللاجئين حياتهم وسكان المعسكر على شفاههم مرارة وفي عيونهم حسرة وألم.

وفجأة صرخت سيدة وأعربت عن كراهيتها للصحافيين الذين صاروا يتاجرون بهم وبمأساتهم قالت إن الصحفيين الأجانب يتخذون منهم وسيلة للكتابة بلا شعور حقيقي بمأساتهم، والعالم يقرأ ويتسلى وهو صامت لايتحرك، وعندما علمت أننا عرب هدأت قليلا وبدأت تقول من بين نشيجها المتقطع: لقد ضحى رجالنا من أجلنا بأرواحهم، السيارات الهاربة من جحيم نيران الصرب لم تكن تكفينا كلنا فأمرونا - نحن السيدات والشيوخ - بركوب السيارات تحت جنح الظلام يطاردنا الموت وصوت الرصاص، بينما ظلوا هم هناك ليلقوا مصرعهم تارة على يد الصرب، وأخرى على يد الكروات.

وتصرخ «أمينة سواكانافينس» - ٦٣ سنة - تقول: أولادي الخمسة في البوسنة لا أعرف عنهم شيئا، هل أحياء، هل ماتوا من الرصاص أم ماتوا من الجوع، رفضوا المجيء معي قالوا إنهم لن يتركوا بيتنا يستولي عليه الصرب.

أما «قديرتش قسيمة» - ٥٧ سنة - فقد كانت في منزلها بمنطقة «دوبيويا» بالبوسنة، عندما ارتفعت أصوات طلقات الرصاص بالخارج، وسمعت طرقا عنيفا على الباب، أعقبه صوت تحطيم الباب، كان جنود الصرب قد اقتحموا منزلها وانهالوا عليها ضربا بكعوب البنادق حتى سالت الدماء من جسدها، استرحمتهم أن يرحموا شيخوختها وعجزها، نهبوا بيتها بعد أن حطموا مالم

يستطيعوا نهبه، إنصرف بعضهم بينما بقي أربعة منهم في انتظار زوجها الذي علموا أنه بالخارج، وتقول «قديرتش» وقد اختنق صوتها: وتمنيت ألا يعود زوجي للبيت كنت أعلم أنه لو عاد سيقتلونه كما قتلوا كل من وجدوه من رجال المنطقة، وخاب أملي .. دخل زوجي ومعه اثنان من أشقائه، تلقفهم جنود الصرب وانهالوا عليهم ضربا، ثم أمروهم بالوقوف ووجوههم إلى الجدار ثم أطلقوا على رؤوسهم الرصاص واحدا تلو الآخر، ويتحشرج صوتها: لن أنسى ما حييت هذا المشهد وعيون زوجي قد خرجت من رأسه، بقيت بجانب الجثث الثلاث يومين والمنطقة خالية حتى عثر عليّ شاب مسلم، كان الشاب مصابا في ساقه، حملني رغم الدماء التي تنزف منه وأخبرني أن سيارة على بعد أمتار تقل بعض الهاربين وهناك أمل في مغادرة البلد، ولكن أي أمل باق بعد كل ما رأيته .. كان الأتوبيس مليئا بالأجساد والدماء، أطفال وشيوخ ونساء مغتصبات، بقايا بشر وبقايا أجساد، كانت أمامنا ثلاث سيارات أخرى، غادرنا «دوبيويا» وما كدنا نصل لحدود البوسنة حتى خرج كمين على السيارات التي تسبقنا، نسفوها بكل من فيها، رأينا أشلاءهم تطير محترقة في الهواء، فغير بسرعة سائق سيارتنا الطريق، وبقينا وسط منطقة جبلية ثلاثة أيام كاملة بلا طعام أو شراب، الأطفال يصرخون من الجوع والعطش فلا نملك حيالهم شيئا حتى عثرنا على منفذ آخر خارج البوسنة ومنها لكرواتيا.

معسكرات الهاربين من الموت تتحول إلى مصادر دخل سياحي لكرواتيا. آلاف المآسي لاتسع لها الصفحات لشرح مدى البشاعة

والوحشية التي وصل لها الصرب والكروات في تعذيب المسلمين، بشاعة تنتحر أمامها كلمة الانسانية، فقد قتلوا من قتلوا واغتصبوا من اغتصبوا وشردوا من شردوا ومازالوا ينتفعون ببقايا دماء المسلمين في كرواتيا، فعلى الرغم من الظروف التي يمر بها المسلمون في البوسنة والهاربون منهم في معسكرات اللاجئين، إلا أن السلطات الكرواتية تستغل وجود المعسكرات أسوأ استغلال، فهيئات الإغاثة الدولية تدفع إيجار هذه المعسكرات للحكومة الكرواتية بواقع ٢٥ ألف دولار شهريا عن المعسكر الواحد أي «موت وخراب ديار!!» بالاضافة إلى ١٣ دولارا عن الشخص الواحد يوميا مقابل إقامته، غير أن حراس المعسكرات من الجنود الكرواتيين قد حولوها إلى إقطاعيات خاصة بهم، فلا يقبلون إقامة أي هارب قبل أن يدفع لهم إتاوة تقدر بـ ٣٠٠ مارك ألماني، ومن ليس معه لايسكن المعسكر بحجة عدم وجود أماكن خالية.

وبهذا تحولت معسكرات المسلمين الهاربين من جحيم الحرب وويلاته إلى مصادر دخل سريعة عائدها كبير ومضمون لكرواتيا، مما عوضها عن فقدانها للدخل السياحي الذي تقلص بسبب الحرب.

المرتزقة الأوروبيين في الجيش الصربي:

تحدث الاستاذ حشمت خليفة رئيس لجنة الاغاثة الانسانية في زغرب موضحا أن الجيش البوسنوي أعلن أنه توجد مجموعة كبيرة جدا من المرتزقة الأوروبيين وأغلبهم من روسيا يقاتلون في صفوف

الجيش الصربي، وقد تم أسر عدد منهم خلال معارك «جبل تدمان».

أما أعداد العرب المسلمين في الجيش البوسنوي فيعد بالعشرات وغالبا ما يرفض الجيش البوسنوي قبول المتطوعين العرب وذلك لعدة أسباب من أهمها أنهم تعرضوا لهجوم إعلامي كبير من جانب الصحافة الغربية لهذا السبب، ولكن كل ما يطلبه الجيش البوسنوي هو السلاح والخبرات.

كما أنه توجد بعض الوحدات التي تضم نساء مسلمات مجاهدات أو يقتصر دورهن على الخدمات المساعدة مثل التمريض والخدمات الطبية ويتسمون بشجاعة منقطعة النظير قد تفوق شجاعة بعض الرجال.

وبالنسبة لأطفال النساء المغتصبات فإنه يتم رعايتهم داخل زغرب وإن شاء الله يتم إنشاء معسكرات لهم داخل البوسنة أو نقلهم إلى بعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا والمجر.

المنظمات والهيئات الاسلامية الاغاثية:

توجد ٢١ هيئة إغاثية إسلامية من أوروبا ومن الدول العربية ومن أمريكا ويوجد مجلس مسجل في كرواتيا يجمع هذه الهيئات، ويوجد نسبة كبيرة تبلغ نصف عدد هذه الهيئات قادرة على دخول سرايفو وهذه نسبة جيدة بالنسبة للسابق.

الفصل الثامن

- أكبر جريمة يرتكبها الصرب ضد الثقافة والفكر
- المساجد والمعاهد العلمية التي دمرها الصرب

أكبر جريمة يرتكبها الصرب ضد الثقافة والفكر

يمثل معهد الدراسات الشرقية القديم الذي يضم مكتبة سرايفو الشهيرة أكثر مشاهد الدمار بشاعة، فقد قام المتطرفون القوميون الصرب يوم ٢٨ أغسطس ١٩٩٢ بإطلاق وابل من الصواريخ الحارقة على مبنى المكتبة فحولوا في ساعات قليلة كل محتوياتها الثقافية الثمينة إلى رماد ودمار. وكما يصف مكتب إعلام حكومة البوسنة والهرسك هذا العمل بأنه «أكثر الأعمال الوحشية التي ارتكبت ضد الثقافة الاسلامية منذ الحرب العالمية الثانية، وفي الحقيقة فإن تلك الجريمة يمكن وصفها بدقة بأنها أكبر جريمة ترتكب في اوروبا ضد الثقافة والحضارة».

لقد كان المطلوب هو إزالة أي أثر إسلامي من البوسنة وأول هذه الآثار كانت المكتبة التي تمثل ذاكرة الشعب البوسني المسلم وحضارته وتراثه التليد.

بعد خمسة قرون تقريبا من حرق المخطوطات العربية في باب الرملة بغرناطة تنفيذا لأمر الكاردينال «تيسنيروس» تكرر المشهد بشكل أعنف أثناء الاحتفال بالذكرى المئوية الخامسة حيث قام المجرمون الصرب بتحقيق أحلام أسلافهم بإحراق ٥٢٦٣ مخطوطة عربية وتركية وفارسية تبخرت إلى الأبد. هذا الكنز الذي تم تدميره بهذه الطريقة البشعة يضم أعمالا في التاريخ والجغرافيا والرحلات، والفقه والفلسفة والتصوف، والعلوم الطبيعية،

والرياضات والقواميس اللغوية والصرف والنحو ودواوين الشعر، وغيرها من العلوم والمعارف.

لم يبق من المكتبة العظيمة سوى حيطانها الخارجية الأربعة المزينة بالأعمدة، وأقواسها نصف الدائرية وكواتها وشرفاتها، وتبدو دعامات سقفها المعدنية التي تساقطت من خلالها الصواريخ كخيوط عنكبوت عملاق، ولا تكاد أعمدتها الداخلية تحافظ على زخارفها الجصية الرقيقة القديمة، أما الساحة الداخلية فهي عبارة عن مخزن أطلال كبيرة تكونت فيها الأنقاض والدعامات والأوراق المحترقة، ألتقط إحدى هذه الأوراق فأجد أنها عبارة عن بطاقة تصنيف من المخفوظات أخذتها كتذكار لهذه الوحشية المبرمجة التي تهدف إلى محو تاريخ شعب، ثم تقيم عليها مبنى من الأكاذيب والأساطير والنسيان.

يكفي أن تعبر ذلك النهر الصغير المسمى «ملياكا» على طريق الجسر القريب من المكتبة العامة لتجد الحي اليهودي الصغير الملتف حول المعبد.

نائب رئيس الجمعية الانسانية للثقافة والتعليم اليهودي «ديفيد كيمحي» حفيد أولئك الذين طردوا من شبه الجزيرة الأيبيرية عام ١٤٩٢م، وانتشروا في أراضي الامبراطورية العثمانية ثم استقروا في سراييفو عام ١٥٥١م، يقول: العلاقة بين الطوائف الدينية في البوسنة كانت طيبة جدا، كانوا يطلقون على سراييفو اسم «أورشليم الصغرى»، كانت سراييفو خليطا من الثقافات المتعددة والأديان المتعددة والجنسيات المتعددة في هذا الحي: المعبد اليهودي على

بعد خطوة من المسجد، والمسجد على بعد خطوة من الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، لقد حبسونا الآن في «جيتو» في معسكر اعتقال يضم ٣٨٠ ألف شخص، من غير المعقول أن تقبل أوروبا هذا بعد القتل الجماعي الذي مارسته النازية[1].

تدمير الحضارة:

اكدت مجلة «فريمي» الاسبوعية المعارضة التي تصدر في بلغراد[2] أن الأعمال الاجرامية وهدم الجوامع والاضرحة والمباني الدينية والثقافية الاسلامية مستمرة في المناطق التي خرجت عن سيطرة الحكومة الشرعية في البوسنة والهرسك، وإن الصرب والكروات على حد سواء يتسابقون في ذلك.

ووصفت المجلة هذه الحملة الخبيثة المنظمة بأنها رهيبة لا يماثلها في التاريخ إلا عمليات الهدم والتغيير التي اشرفت عليها محاكم التفتيش في اسبانيا بعد القضاء على الحكم العربي - الاسلامي فيها لمحو أي أثر يذكّر بأيام المسلمين وحضارتهم في الأندلس.

وتساءلت المجلة: هل ما يجري الآن «احتفال في مناسبة مرور ٥٠٠ عام على ابادة الوجود الاسلامي في اسبانيا؟!».

وأضافت أن «إزالة القباب البديعة والمنائر الشامخة التي كانت تجعل سرايفو وموستار وفوتشا وبانيالوكا وبييلينا وبرتشكو

---

(١) خوان غويتيسولو - الحياة اللندنية ٢٧/ ٨/ ١٩٩٣م.

(٢) الحياة اللندنية - ٢٥/ ٧/ ١٩٩٣م.

وترافنيك، وغيرها من المدن والقرى البوسنية، تتباهى بروائع الفن المعماري الشرقي وجماله الخلاب يسجل إلى الأبد وصمة عار في جبين أولئك الذين ارتكبوا هذا الذنب، من الصرب والكروات، ويضعهم في زمرة الملكين الاسبانيين الزوجين فرديناند وايزابيلا اللذين تخجل من ذكر إسميهما حتى الأجيال الاسبانية المعاصرة».

وصرح مفتي بلغراد الشيخ حمدي يوسف سباهيتش للمجلة «إن لديه سجلا يتضمن اسماء ومواقع نحو ألف مبنى إسلامي أزالها الأشرار من الوجود».

وأضاف «ان الانسان الذي يتصفح دوائر المعارف وكتب روائع العمارة والآثار والسياحة ويقرأ ما كتب عن المباني التي هدمت ويرى صورها لا يمكنه إلا أن يذرف الدموع ويلعن أولئك المجرمين الذين تجردوا من كل الاخلاق والمشاعر الانسانية».

وتحدث الشيخ حمدي عن عدد من هذه المباني فقال: «كنت عام ١٩٥٨ إماما لمسجد محمد باشا في موستار وكانت منارته التي شيدت قبل أكثر من خمسة قرون والقريبة من الجسر الحجري الأثري المشهور أهم معالم هذه المدينة بما تضفيه من بهاء على الجسر والنهر الذي يمر من تحته، إلا أن الأشرار لم يكتفوا بهدم هذه المنارة وإنما الحقوا أضرارا فادحة بالجسر ولو تمكنوا لقضوا حتى على جريان الماء في النهر، لأن حقدهم الدفين غدا من دون حدود».

وعن جامع الاجا في فوتشا قال: «لو بذل المعماريون المعاصرون كل ما لديهم من خبرة لما استطاعوا إعادته إلى ما كان

عليه، ولم يكتف رادوفان كاراجيتش - رئيس صرب البوسنة - بهدم هذا الجامع فقط وإنما أزال من الوجود ١١ مسجدا آخر فيها وقتل أو طرد كل مسلم من هذه المدينة».

وأبدى الشيخ حمدي استغرابه من أن يتمكن «نفر من السفاحين الصرب من تنفيذ هذه الجرائم في البوسنة التي اشتهرت بتسامحها الديني والتعاون المثالي بين سكانها إلى حد أن المئات منهم غادروا سنة ١٩٣٧ إلى أثيوبيا متطوعين لمقاومة الغزو الإيطالي لها، وعندما سئل المسلمون عن سبب ذهابهم للدفاع عن أثيوبيا اجابوا: «إن أبناءه قبل ١٣٥٠ سنة قدموا المساعدة للمسلمين الأوائل وهيأوا لهم المأوى الذي أنقذهم من بطش أعداء الاسلام، ونحن بذهابنا اليه الآن نتذكر ذلك الفضل فنرد الجميل إلى أهله». وقال: «أما في التاريخ الحديث فقد تناقل أبناء البوسنة أسماء المئات من المسلمين الذين ضحوا بأنفسهم لحماية نساء وأطفال الصرب عندما حاول الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية إبادتهم إنتقاما من أقاربهم الرجال الذين كانوا يقاتلون في صفوف القوات المناوئة للألمان».

أئمة المساجد .. وإهانة الرمز:

مجموعة من الجنود يدخلون إلى المذبح وبرفقتهم ثلاثة من أئمة المسلمين في البوسنة . . يأمر قائد المجموعة أئمة المسلمين بخلع كل ملابسهم، يقترب ثلاثة من جنود الصرب وبيد كل منهم آلة قطع حادة بينما تهم مجموعات أخرى بالامساك بالأئمة وفجأة تعلو صرخات الأئمة إلى عنان السماء بعد أن يكون القتلة الصليبيون قد

قطعوا الأعضاء التناسلية للأئمة الثلاثة بآلاتهم الحادة. ثم يأتون بمجموعة اخرى من المسلمين ويفعلون بها ما فعلوا بالأئمة ويصرخ الجرحى القابعون على الأرض وتصدر الأوامر إليهم بالنهوض يعجزون عن الوقوف على أرجلهم، وفجأة يتقدم نحوهم عشرة من المجرمين الصرب، كل منهم يلتف حول خمسة من المسلمين المصابين يحاولون تهديدهم بأن يلقوا نفس المصير إن لم يتخلوا عن الاسلام ويرضون بالمسيحية دينا وعقيدة وبعد مضي فترة من الوقت يعود القائد الصربي من جديد ليسأل عن النتيجة . . يفاجأ بالرفض. يحاول الإغراء من جانبه لكنه يفشل ينادي بأعلى صوته على فرق القتل، دقائق قليلة ويسقط المصابون مضرجين في دمائهم بموت الجميع وتبقى على ألسنتهم عبارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[1].

– **مشهد آخر**: شاب من قرية «تيسليشن» في منطقة «دبوي» اسمه محرم أومتش نجا من الذبح، يقول: رأيت الصرب يحاصرون قريتي وجمعوا ما يقرب من ثلاثمائة من نسائها وأطفالها ورجالها يكبلون الرجال بالأصفاد أو يربطونهم بالحبال حتى لا يتحركوا ويجمعونهم في ملعب كرة القدم ثم يهتكون أعراض النساء واحدة واحدة أمام أزواجهن وأطفالهن . . وأحضروا إمام المسجد بعد أن هدموا بيته وذبحوا أمامه كل إمرأة قاومت هتك عرضها ثم ذبحوه . . وقبيل العيد عام ١٩٩٢ بخمسة عشر يوما حاصروا قرية «برانونانس» على الخدود وجمعوا أهلها من الرجال في صفوف ونادوا على إمام

---

(١) الحرب على الاسلام في البوسنة والهرسك – شمس الدين الفاسي.

القرية بالوقوف أمام الصفوف - والإمام هناك يمثل عند المسلمين هيبة الاسلام - وطلبوا منه أن يشير بعلامة الصليب المميزة «يطبق اصبعيه الخنصر والبنصر ويطبق أصابعه الثلاثة الباقية وهي التي يتم بها التثليث» فرفض الرجل بقوة لأن هذا معناه الخروج من الاسلام، فضربوه حتى فقد الوعي، وعندما تنبه ذبحوه وسط ذهول الحاضرين[1].

(١) شعبان عبد الرحمن - جريدة الشعب المصرية ٢٣/ ٦/ ١٩٩٢م.

المساجد والمعاهد العلمية التي دمرها الصرب

لقد شهد العالم أن حرب البوسنة والهرسك من الحروب المدمرة لكل شيء ففي هذه الحرب لم تهدم فقط حياة الملايين من الناس في البوسنة والهرسك وإنما كانت دمارا كاملا لعدد من المراكز الاسلامية وبتلك الاعتداءات الوحشية لم يترك الصرب أثرا للعمران والمباني الاسلامية الغالية الثمن، ومثال على ذلك تدمير الجوامع ومنها جامع غازي خوسريف - بيغرف، جامع كاريف وجامع المغريبية، وجامع سلطان اسمى في ياتيسا».

مركز أبحاث استانبول:

وقد أوردت النشرة الإخبارية لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول في عددها التاسع عشر معلومات موثقة حول تدمير الصرب المعالم التاريخية والثقافية في البوسنة.

ولكن المعلومات التي نوردها فيما يلي كفيلة بإظهار الأبعاد الخطيرة للعدوان وأعمال الارهاب ضد جمهورية البوسنة والهرسك ففي الثاني من شهر يونيو ١٩٩١م نشر المكتب الإعلامي لحكومة البوسنة والهرسك عددا خاصا تضمن معلومات حول اجتياح الأماكن الدينية الموجودة فوق أراضي الجمهورية حتى شهر مايو ١٩٩٣م ومن المعروف أن عدد الأماكن الدينية التي تضررت أو تهدمت نهائيا قد ارتفع بصورة ملحوظة منذ ذلك التاريخ. ولحق

التدمير كثيرا من أماكن العبادة والمعالم والجسور والأضرحة التابعة للمسلمين نتيجة القصف بالمدفعية. ولازالت هذه المعالم تتعرض للهجمات المستمرة. ومثالا على ذلك هدم أو تدمير المساجد السبعة عشرة الموجودة في مدينة «فوجه» وتشتمل القائمة التالية اسماء المساجد والمعالم التاريخية التي تم قصفها وتدميرها خلال شهري إبريل ومايو ١٩٩٣م.

١- مسجد السلطان بايزيد في «فوجه»، بني عامي ١٥٠٠ - ١٥٠١، دمر نهائيا.

٢- مسجد «الاجا» بني عام ١٥٥٠، احد المساجد الضخمة التي تمثل النمط العثماني التقليدي، دمر نهائيا.

٣- مسجد عتيق علي باشا، بني عام ١٥٤٦، دمر بالمدفعية.

٤- مسجد سليمان بك الكبير في فوجه، بني عامي ١٦٣٣ - ١٦٣٤ دمر جزئيا بالقصف المدفعي.

٥- مسجد الدفتردار ممي شاه في فوجه، يعود إلى نهاية القرن السادس عشر، وقد دمرته القوات الصربية.

٦- مسجد القاضي عثمان في فوجه، بني عامي ١٥٩٣ - ١٥٩٤، دمره الإرهابيون الصرب في ابريل ١٩٩٢م.

٧- مسجد مؤمن بك «المعهد الاسلامي» في فوجه، شيد في القرن السادس عشر، ودمر جزئيا.

٨- مسجد الشيخ «بيرجا» في فوجه، يعود للقرن السادس عشر.

٩- مسجد مصطفى باشا في فوجه، من القرن السادس عشر.

١٠- مسجد محمد باشا قوقاويكا في فوجه، بني عامي ١٧٥١ - ١٧٥٢ ودمر في عدة حوادث.

١١- المعهد الاسلامي المعروف بمدرسة محمد باشا قوقاويكا، بني في منتصف القرن الثامن عشر مع المسجد الذي يحمل نفس الاسم والذي هدم جزئيا جراء القصف المدفعي.

١٢- مسجد سلاتينا بالقرب من فوجه، تم تدميره.

١٣- مسجد أوستيكولينا، بالقرب من فوجه، شيد عامي ١٤٤٨ - ١٤٤٩ «اقدم مسجد في البوسنة والهرسك والذي كان قد دمر عام ١٩٤١ من قبل القوات غير النظامية».

١٤- المسجد القديم في يلجو، فوجه، بني في القرن الخامس عشر وكان قد احرق من قبل أهالي الجبل الأسود خلال الحرب العالمية الأولى ولم يتبق منه سوى المحراب. وقد تم ترميم المسجد فيما بعد. وفي شهر مايو ١٩٩٢ وضعت القوات الصربية غير النظامية متفجرات في المسجد وهدمته واستشهد إمامه المسن أمام المسجد.

١٥- مسجد «برنجاور» التابعة لكالسيجا.

١٦- مسجد ميلجانوفجي التابعة لكالسيجا.

١٧- مسجد بريجست التابعة لغوراجيدي.

١٨- مسجد براتوناج، كان الإرهابيون الصرب قد استولوا عليه وحولوه إلى ثكنة عسكرية. كما قتلوا إمام المسجد بعد تعذيب رهيب.

١٩- تحطيم مئذنة مسجد المدينة في طوزله، الذي بني في القرن السادس عشر نتيجة اعتداء المليشيات عام ١٩٩١م.

٢٠- مسجد محمد اغا في جاسيجا، بني خلال الفترة من ١٥٤٨ إلى عام ١٦٠٠، تم تدميره.

٢١- مسجد تيلارفيتج في قرية بيجلجانا، بني في النصف الأول من

القرن السابع عشر، وكان قد دمر في الحرب العالمية الثانية. القى الأرهابيون الصرب متفجرات على أنقاض المقبرة المجاورة له.

٢٢- مسجد موجاكوتيزيليجا في قرية كوتيزي وكان هذا المسجد يضم زخارف خاصة ويعتبر أقدم المساجد في هذا القسم من البوسنة والهرسك وكان قد دمر في الحرب العالمية الثانية.

٢٣- مسجد قزانجي بني في القرن السابع عشر.

٢٤- مسجد بولجه، التابع لبوليكا، بني في النصف الأول من القرن السادس عشر وكان قد دمر من قبل المليشيات عام ١٩٤١. وقد تم تدمير معالم المسجد والمقبرة المجاورة له عام ١٩٩٢م.

٢٥- مسجد حاجي قورتو في مدينة موستار والذي يعرف باسم تاباكيكا بني في القرن السادس عشر، وقد تم تدميره بالكامل.

٢٦- مسجد نصوح اغا بمدينة موستار وقد بني عامي ١٥٢٨ - ١٥٢٩م.

٢٧- مسجد سيجفان سيهاجا بمدينة موستار، بني عامي ١٥٥٢ - ١٥٥٣م.

٢٨- مسجد درويش باشا بمدينة موستار، من عام ١٥٩٧م.

٢٩- مسجد حاجي احمد اغا بمدينة موستار، ١٦٥٠ - ١٦٥١م.

٣٠- مسجد روزنامه جي ابراهيم افندي بمدينة موستار، بني قبل ١٦٢٠.

٣١- مسجد كوسه يحيى حاجي بمدينة موستار، دمر بالكامل، كان هذا المسجد هو الوحيد من ضمن المساجد الستة التي بنيت في هذه المدينة قبل ١٦٣١ والتي قام بتشييدها مجموعة من علماء المسلمين هناك.

٣٢- مسجد حاجي ميميجا سرنيكا بمدينة موستار، من القرن السادس عشر.

٣٣- مسجد حاجي علي بك بمدينة موستار، ١٦٣١.

٣٤- مسجد باشا بشير بمدينة موستار، ١٦٣١.

٣٥- مسجد حاجي محمد بك كارادزوي بمدينة موستار، بني عامي ١٥٥٧ - ١٥٥٨.

٣٦- مسجد كوسكي محمد باشا بمدينة موستار، ١٦١٨ - ١٦١٩.

٣٧- مسجد ابراهيم اغا صاريج.

٣٨- مسجد سيوري حاجي حسن بمحلة دونجا بمدينة موستار من أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر.

٣٩- التكية المعروفة عالميا في بلاجاج والمعروفة بنمطها التركي الباروكي، بنيت في القرن التاسع عشر وكانت تعيش حولها العديد من أنواع الحيوانات وقد قصفت المنطقة من قبل الإرهابيين الصرب.

٤٠- مسجد السلطان احمد في تربينجا، ١٧١٩، زال نهائيا.

٤١- مسجد عثمان باشا رسول بيكوفيتش في تربينجا، بني عام ١٧٢٦، تم تدميره بما في ذلك مدخله المزين بالخطوط.

٤٢- مسجد السلطان بايزيد في نيفيسنجا، بني في نهاية القرن الخامس عشر.

٤٣- مسجد في أودزاك، بالقرب من نيفيسنجا، من القرن الثامن عشر.

٤٤- مسجد فرهاد باشا في بنجوليكا، بني عام ١٥٧٩ ويعتبر

نموذجا تقليديا للعمارة العثمانية وكذلك قبر فرهاد باشا بنفس المنطقة.

٤٥- مسجد حسن دفتردار في بنجوليكا، بني عام ١٥٩٤.

٤٦- مسجد في بوسنسكي.

٤٧- مسجد السلطان عزيز في قرية سيجيكوفا، بالقرب من بوسنسكي برود، من القرن السادس عشر.

٤٨- مسجد في دريفنتا، بالاضافة إلى ضريح الشيخ عمر، من القرن السادس عشر.

٤٩- مسجد في بوسنسكا كروبا، بني في أواخر القرن الثامن عشر.

٥٠- مسجد السلطان سليم «سليمية» في دوبوج، من القرن السادس عشر، تم تدميره. وكان قد أقيم بجوار قلعة دوبوج التي تعتبر من المعالم المعمارية القيمة.

٥١- مسجد جارشيا في دوبوج.

٥٢- مسجد أوراجدي التركي القديم في دوبوج.

٥٣- مسجد في قرية ماتيوزيكا.

٥٤- مسجد المدينة في بوسنسكي نوفا، بني عامي ١٨٢٠-١٨٢١.

٥٥- مسجد في بوسنسكي نوفا، يعرف باسم سريدنجادزمات من عام ١٨٨٣.

٥٦- مسجد فيدوريجا في بوسنسكي نوفا، عام ١٨٧٠، يعرف بمئذنته ورواقه المكشوف.

٥٧- مسجد في وسط كونجيك والمقبرة المجاورة له.

٥٨- مسجد تزار في سراييفو «سراي بوسنة»، بني عام ١٥٦٥، قصف هذا المسجد والمقبرة المجاورة له عدة مرات.

٥٩- مكتبة خسرو بك والمسجد الجامع لمدينة تزار، بني عام ١٥٦٥ .

٦٠- مسجد خسروبك في سراييفو «سراي بوسنة» وهو على جانب كبير من الأهمية المعمارية، بني عام ١٥٣٠ ، كان هدفا في العديد من المناسبات.

٦١- ضريح الغازي خسروبك، ويقع بجوار المسجد، بالاضافة إلى تدمير شواهد قبور العديد من الشخصيات التاريخية جراء القصف.

٦٢- مسجد الشيخ المغربي في سراييفو «سراي بوسنة» يعود إلى النصف الأول من القرن الخامس عشر، ويمثل أحد أروع نماذج العمارة الاسلامية وقد دمر بالكامل.

٦٣- مسجد علي باشا في سراييفو «سراي بوسنة»، بني عام ١٥٦١ .

٦٤- مسجد هافادزا دوراك في سراييفو «سراي بوسنة»، بني في مطلع القرن السادس عشر.

٦٥- الخانقاه «رباط الصوفية» ويعود إلى القرن السادس عشر.

٦٦- مدرسة الغازي خسروبك في سراييفو «سراي بوسنة»، بنيت عام ١٥٣٧ .

٦٧- الكلية الاسلامية في سراييفو «سراي بوسنة»، دمرت بإحدى الصواريخ التي استهدفت قلب المدينة.

٦٨- مسجد سركركريسجا في سراييفو «سراي بوسنة»، ١٥٢٦ دمر جزئيا.

٦٩- مسجد فرهادبك «فرهادية» في سراييفو «سراي بوسنة»، بني عامي ١٥٦١-١٥٦٢ ، تم احراقه.

٧٠- مسجد حاجي عثمان في سراييفو «سراي بوسنة»، بني عامي ١٥٩١-١٥٩٢، أحرق.

٧١- مسجد جوبان حسن فويفوداكوبانيجا، ١٥٦٢.

٧٢- مسجد دزينو-زيد في سراييفو «سراي بوسنة»، من القرن السابع عشر.

٧٣- مسجد دايانلي حاجي ابراهيم في سراييفو «سراي بوسنة»، من القرن السابع عشر.

٧٤- تكية حاجي سنان في سراييفو «سراي بوسنة»، من القرن السابع عشر.

٧٥- مسجد كاتب الديوان حيدر أو مايعرف بالمسجد الأبيض في فراتنيك.

٧٦- مسجد كوفاسي.

٧٧- مسجد جزغني حاجي علي في سيروكاكا بسراييفو «سراي بوسنة»، ويعود لعام ١٥٦١.

٧٨- مدرسة الفقه الاسلامي التي صممها المعماري كارلو بارزيكي عام ١٨٨٧ والتي أعيد تصميمها كمتحف للمدينة. القاعة الرئيسية والواجهة لهذا المبنى مصممتان على النمط المغربي.

٧٩- مسجد سراج علي في سراييفو «سراي بوسنة»، ١٨٩٢-١٨٩٣.

٨٠- مسجد الشيخ فروخ في كوفافي بسراييفو «سراي بوسنة»، بني قبل عام ١٥٤١.

٨١- مسجد حاجي انخان اغاطو بالوفيج أو المعروف بمسجد لوبو في فيراتنيك بسراييفو «سراي بوسنة»، بني قبل عام ١٥٢٥.

٨٢- مسجد سنان فويفودا خاتون في مدينة فارتنيك بسرايفو «سراي بوسنة»، ١٥٥٢ ، ويعرف باسم المسجد الصغير.

٨٣- مسجد حاجي سنان في فارتنيك.

٨٤- مسجد قصاب زاده في فارتنيك.

٨٥- مسجد حاجي ابراهيم قصابوفيتش في فارتنيك، من القرن السادس عشر.

٨٦- مسجد اسماء سلطان وهو اضخم مسجد جامع بمدينة جاجكي، أقدم مدينة بوسنوية، وقد شيد بين عامي ١٧٤٩-١٧٥٠ .

إن هذه القائمة ليست بالقائمة النهائية، إذ لازال العديد من المباني الأخرى تحت القصف المدفعي، مما يضيف اليها أسماء جديدة يوما بعد يوم، من ناحية أخرى، فإن أبشع الجرائم ضد التراث الحضاري والتاريخي قد ارتكبت يوم ١٧ مايو ١٩٩٢م بهجوم الارهابيين الصرب على معهد الدراسات الشرقية في سرايفو «سراي بوسنة» باستخدام الصواريخ الحارقة وبذلك ضاعت كافة الوثائق والكتب والمقتنيات الأخرى والأبحاث والمشروعات في يوم واحد.

كارثة معهد الدراسات الشرقية :

وقد أصدر المكتب الإعلامي لحكومة جمهورية البوسنة والهرسك عددا خاصا من نشرته بتاريخ ٢ يونيو ١٩٩٢م حول تدمير معهد الدراسات الشرقية في سرايفو «سراي بوسنة» بيّن من خلالها حجم الكارثة التي حلت بهذا المركز الثقافي والحضاري. وقد

اظهرت النشرة أن هذا المعهد كان قد أنشيء عام ١٩٥٠م كمركز للعلم والبحث بهدف جمع وحفظ وتحليل ونشر الوثائق والمخطوطات بالعربية والتركية والفارسية واللغة البوسنوية. ويمكن تقسيم محفوظات المعهد إلى ثلاث مجموعات رئيسية:

الأولى: وهي عبارة عن مجموعة من المخطوطات يبلغ عددها ٥٢٦٣ مخطوطة باللغات المذكورة أعلاه وتتناول كافة مجالات العلوم والفلسفة والأدب وهي على جانب كبير من الأهمية، إذ تضم مخطوطات نادرة وقيمة ترجع إلى القرن الحادي عشر. وتعتبر مكتبة المعهد من أهم مكتبات المخطوطات في منطقة البلقان إلى جانب مكتبة الغازي خسروبك.

الثانية: وتمثل أرشيف المعهد من الوثائق التي تشمل أكثر من ٧٠٠٠ وثيقة تتناول الفترة من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر وتضم بعض الفرمانات السلطانية والبراءات «المراسيم» ووثائق الحكومة البوسنوية وسجلات المحاكم وتقارير وسجلات مالية، وما إلى ذلك من الوثائق. وأكبر مجموعة في الأرشيف هي عبارة عن ٢٠٠٠٠٠ وثيقة ترجع إلى إدارة الأقاليم والتي كانت السلطة المركزية لتلك الأقاليم تتبادلها مع الهيئات الإدارية والسلطات المركزية باستانبول، كما توجد مجموعة أخرى تمثل الصكوك الأصلية للممتلكات في كافة أرجاء البوسنة والهرسك والتي يرجع تاريخها إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ويزيد من قيمة الأرشيف وجود مجموعات أخرى من الوثائق التاريخية.

الثالثة: وتمثل رصيد مكتبة المعهد التي تعتبر واحدة من أشهر

المكتبات المتخصصة في البلاد. وإن تدمير المعهد قد أسفر عن ضياع ذخيرة قيمة من التراث الحضاري المكتوب، حيث لم يسلم أي شيء من العدوان الصربي الغاشم.

إن العنف والاجرام الحالي ما هو إلا استمرار لسياسة مبيتة استمرت قرنين من الزمان بهدف إبادة كاملة للسكان المسلمين وطمس كافة مخلفات التراث التي تشكل دليلا على وجودهم التاريخي والحضاري. وبدون مساندة المجموعة الدولية فإن جزءا من التاريخ الاسلامي سوف يضمحل من العالم.

إن نظرة متأملة على هذه القائمة للمناطق التي دمرت تكشف أنها اختيرت بعناية فهي تمس المواريث الرمزية والتاريخية الاسلامية هناك فحرب الإبادة تريد تجريد الذاكرة الجماعية لمسلمي البوسنة بتدمير رموز الهوية والانجازات الحضارية الذي نشأ من الفكر والعقيدة الاسلامية.

الفصل التاسع

- وا إسلاماه .. وا معتصماه
- الإجهاض .. وأطفال العار
- الخـــــاتمـة

وا إسلاماه .. وا معتصماه

«وا إسلاماه» صيحة أطلقتها مسلمة في سوق المدينة المنورة حين رفع يهودي ثوبها فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن أجلى اليهود من المدينة نصرة لمسلمة لمجرد رفع ثوبها لأن عرض المسلمة هو عرض المسلمين جميعا.

«وا معتصماه» صيحة أخرى أطلقتها مسلمة لصفعها على وجهها من قبل نصراني في دولة الرومان العظمى، فلباها الخليفة المعتصم بالله، فحين بلغته صرختها قال: «نُصرت أختاه»، وتحركت الجيوش الاسلامية الجرارة لتزلزل الأرض من تحت الدولة الرومية نصرة لمسلمة، ثم سألها الخليفة العظيم - بعد أن انتصر لها ولكل مسلم ومسلمة - هل رضيت أمة الله؟!

فتوى تبيح عرض المسلمات :

أما الآن - والمسلمون كغثاء السيل ١٣٠٠ مليون - فحدِّث وكلك حرج عما يحدث ويجري في البوسنة وفي كشمير وفي الهند وفي بقاع أخرى من إذلال المسلمات وامتهان كرامتهن وانتهاك أعراضهن واغتصابهن نساء وفتيات، حتى الفتيات الصغيرات ممن هن دون العاشرة، والعجائز القواعد من النساء اللائي بلغن من العمر عتيا، لم يسلمن من هذا العار الذي سوف يظل يلاحقنا ويطاردنا حيثما حللنا وأينما كنا، وسوف يكون نقطة سوداء في جبين

المسلمين، ومهانة وإهانة لاتَّمحى والله الذي لا إله إلا هو، إن بطن الأرض خير لنا من ظهرها إن لم نقتص لهؤلاء المغتصبات.

في كل منطقة يسيطر عليها المجرمون الصرب والكروات، يقام معسكر للسبايا المسلمات اللائي لم يستطعن الهرب، وقد أصدرت كنائس الصرب فتوى تبيح أعراض هؤلاء النساء المسلمات لكل من يدين بالنصرانية الأرثوذكسية، فاستيقظوا يا مسلمين من هذا السبات العميق.

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي: كان الحديث عن اغتصاب المسلمات السبايا يدور على الألسنة ونحن في «زغرب» عاصمة كرواتيا، وأنباء الكفاح تجيئنا من المدن التي تقاوم ببسالة ويأس عدوا يملك سلاحا أقوى وعددا أكبر. وانتهاك الأعراض في حضارة الغرب مسلاة شائعة! فالفلسفة السائدة أن الجسد ملك صاحبه في السلم والحرب يفعل به ما يشاء، وليس ملك خالقه يضبطه بقوانين الأدب والعفة. الإسفاف عندهم مربوط بالارادة. فمن شاءت أو من شاء هبط إلى الدرك الذي يشتهي. والقوانين الأوروبية لا تعاقب على اللقاء الحرام مادام بالتراضي وإنما تعاقب على الإكراه!! لكن مسلمي البوسنة والهرسك لاتزال في ضمائرهم بقايا راسبة في أعماقهم من كراهية الخنا واعتبار الزنا جريمة تشبه الشرك بالله وقتل النفس، ولذلك احتفظت النساء بحشمتهن ولذن بالصون والطهر. وعرف قادة الصرب هذه الحقيقة فوضعوا سياسة عامة للاغتصاب، وصدرت التعليمات للجنود أن يطعنوا المسلمات في أعز ما يملكن، إن القصد كسر العزة الاسلامية، وصبغ الوجوه بالعار. وقد ترجم الاستاذ فهمي هويدي تقريرا نشرته صحيفة «الجارديان» الانجليزية

جاء فيه أن مصادر الحكومة البوسنية تقدر أعداد النسوة المغتصبات بأربعة عشر ألفا! من هؤلاء ٢٠٠٠ فتاة بين ٧-١٨ سنة، ٨٠٠٠ فتاة بين ١٨-٣٥ سنة، و٣٠٠٠ بين ٣٥-٥٠ سنة وألف امرأة فوق سن الخمسين!! والمضحك المبكي أن ذلك كله يتم تحت عنوان التطهير العرقي!! وجاء عيد ميلاد المسيح في أوائل عام ١٩٩٣ فاحتفل به الصربيون الأرثوذكس بمزيد من القتل والسفاح. إن هؤلاء الناس لايعرفون المسيح عيسى بن مريم ولايمتون إليه بصلة، إنهم اتباع المسيح الدجال ومستواهم الخلقي أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.

ولعل الأغرب من وحشية الصرب موقف هيئة الأمم المتحدة التي تمنع السلاح عن المسلمين حتى يعجزوا عن الدفاع عن دمائهم وأعراضهم، وتكتفي بعبارات جوفاء لاتسمن ولاتغن من جوع. أما المسلمون في أرجاء العالم، فإني أنظر اليهم وأذكر أبيات بدوي الجبل:

قد استرد السبايا كل منهزم	لم تبق في أسرها إلا سبايانا!!
وما رأيت سياط الذل دامية	إلا رأيت عليها لحم أسرانا
وما نموت على حد الظبا أنفا	حتى لقد خجلت منا منايانا!!

إني اتلفت يمنة ويسرة، وأمد بصري إلى الأقطار القريبة والبعيدة فأرى المسلمين يتجرأ عليهم الوثنيون عبدة البقر في الهند، وتطمع فيهم سائر الملل والنحل، ومع ذلك فإن البعض يضحك، والبعض يشتري الضحك في تمثيليات غاب عنها العقل والأدب، والبعض يمضي إلى غايته لاتعنيه إلا مآربه!! هل تهلك الأمم إلا بهذه الأحوال؟!

الإغتصاب عملية منظمة:

ضمن وفد من السياسيين والأطباء تم تشكيله بتكليف من الجماعة الأوروبية لتقصي الحقائق في البوسنة والهرسك، قامت دكتورة ليبي تاتا أرسيل - استاذة علم النفس بجامعة كوبنهاجن - بزيارة لبعض مدن وقرى البوسنة في يناير ١٩٩٣ لجمع قدر صحيح من المعلومات عما تناقلته وكالات الأنباء من شيوع عمليات الاغتصاب لنساء المسلمين على أيدي جنود الصرب، وقد تبين - كما تقول د. ليبي - أن كل ما قيل صحيح، بل وتروي ما هو أكثر، حيث تؤكد أن الاغتصاب يتم بشكل منظم وبنفس الطريقة في أكثر من مكان جغرافي، مما يدل على وجود نظام يتبع وأن المسألة ليست سلوكيات فردية.

ويستخدم الاغتصاب - وفقا للتقرير الذي اعدته د. ليبي - كوسيلة للتعذيب، وقد تضمن التقرير بعضا من شهادات المجني عليهن حيث أكدن أن المعتدين استخدموا السكاكين لإحداث جروح في أجسادهن قبل أو بعد اغتصابهن كعلامة مؤذية لفعل كريه.

وتحدثت د. ليبي عن المتاعب النفسية التي يعاني منها المجني عليهن من نساء المسلمين، فقالت: إنهن يرفضن الحديث عن هذا الأمر حتى لاتصل هذه المعلومات إلى أزواجهن المقاتلين على الجبهة مما قد يصيبهم بالإحباط. وقالت: إنهن يعانين من متاعب صحية كبيرة.

وأكدت أن كثيرا من المغتصبين معروفون للمجني عليهن لأنهم من الجيران أو المناطق المجاورة، وتتبنى د. ليبي مع طبيبة سويدية

أخرى مشروعا لتدريب ٢٥ طبيبا وأخصائيا نفسيا للتعامل مع هذه الحالات مستقبلا، خاصة أنها تتوقع زيادة حجم المشكلات التي تعاني منها هؤلاء النسوة بعد انتهاء الحرب «لأن مخاطر الحرب تدفع الناس لتحمل الآلام والتكاتف فيما بينهم»[١].

تصوير إغتصاب المسلمات :

ذكرت صحيفة «فتشرني لست» الكرواتية الصادرة في ٢٠ يوليو ١٩٩٣ أن منظمات إجرامية عالمية تتاجر في أفلام الشذوذ الجنسي قد بدأت في تسويق أفلام سُجلت أثناء عمليات الاغتصاب الجماعي التي قامت بها القوات الصربية وكان ضحيتها ما يزيد على ٥٠ ألف إمرأة وفتاة وطفلة مسلمة .

«أفلام اغتصاب النساء البوسنيات تباع في اسواق الدعارة الأوروبية!!» . بهذا العنوان المثير لكل المشاعر الانسانية والاسلامية بث مكتب مؤسسة الحرمين في كرواتيا رسالته اليومية التي تعنى بأخبار المسلمين في البوسنة والهرسك، وجاء في تفاصيل الخبر أن المنظمات الارهابية في بلجراد تعرض على تجار أفلام الخلاعة في بريطانيا وامريكا أفلام فيديو تظهر عمليات الاغتصاب المريعة التي حدثت لنساء البوسنة المسلمات والتي قام بها اعضاء العصابات الصربية والتي انتهت في بعض الاحيان بقتل الضحايا البوسنيات، وقد ظهرت بعض هذه الافلام في البلدان الغربية . وقد تم اكتشاف أول شريط فيديو من هذا النوع من قبل الشرطة في مدينة

---

(١) سامح عبد الله - الأهرام ٨/ ٣/ ١٩٩٣م .

«لوس أنجلوس» الامريكية. وتعتقد الشرطة أن هذه الأشرطة انتشرت في امريكا وأنها قد وصلت إلى الأسواق البريطانية. وقد قام المجرمون الصرب بتصوير هذه الأفلام بأنفسهم لأنها مصورة بشكل جيد وكاميرات تصوير خاصة بالمحترفين من تلك التي قاموا بسلبها من المراسلين الأجانب لمحطات التليفزيون العالمية. وهذه الأفلام تعرض عمليات الاغتصاب التي تمت على أولئك النساء بالكامل ولكنها لم تظهر ابدا وجوه وشخصيات المغتصبين المجرمين.

وتظهر الأفلام أن عمليات الاغتصاب والاهانة تبدأ عادة بخلع ملابس الضحية بالقوة ثم ربطها وضربها وتنتهي المذبحة بالاغتصاب من شخص أو عدة اشخاص. وحدث مرات متعددة أن قتلت الضحية بعد الاغتصاب وذلك بإطلاق الرصاص على رأسها أو القيام بذبحها.

وكانت السوق السوداء في بريطانيا قد حصلت على هذه الأفلام من عصابات الشذوذ في امريكا الجنوبية، ومن ناحية أخرى حاول المجرمون الصرب فتح اسواق لهذه الأفلام بعد أن قام التليفزيون الصربي في «بانيلوكا» بعرض فيلم في ساعة متأخرة من الليل تظهر فيه عمليات الاغتصاب.

وقد قامت استاذة الحقوق الامريكية ورئيس الحملة المناهضة لأفلام الخلاعة «كاترين ميك كيون» بالتحدث مع المسلمات الضحايا اللاتي قمن بوصف الأعمال الوحشية الاجرامية التي تمت في حقهن والطرق التي كانت تتبع في تصوير عمليات الاغتصاب. وتملك الباحثة أدلة جنائية على مثل هذه الجرائم ومنها عملية

الاعتداء على امرأة مسلمة وبقر بطنها وهي حامل في شهرها الثامن أمام زوجها الذي لم يستطع أن يفعل لها أي شيء لأنه كان مكتفا بالحبال وهي تموت أمام عينيه[1].

وهذه هي شهادة أخرى تقدمها الصحفية البريطانية «ماجي أوكين» التي بعثت بها من بلدة «زينكا» البوسنية ونشرت في صحيفة «الجارديان» في عددها الاسبوعي الصادر في ٢٧ ديسمبر ١٩٩٢م:

كانوا خمسة من الجنود الصربيين مدججين بالسلاح، دخلوا إلى القاعة الفسيحة ومضوا يتفرسون في وجوه الجالسات، وقد كن ٣٨ امرأة مسلمة مع أطفالهن وبناتهن، اللاتي تم اقتيادهن في ذاك الصباح من قرية «جيلاس» الواقعة وسط الغابات. كانت بعض النسوة اليائسات قد قصصن شعور بناتهن ليصبحن في هيئة الصبية من الأولاد، ويفلتن من أعين الذئاب الصربية. أما البعض الآخر فقد قمن بتغيير شكل البنات وإلباسهن أغطية رأس ثقيلة، ليظهرن بمظهر العجائز. ولكن تلك الحيل لم تكن تنطلي دائما على الجنود الصربيين.

بطرف بندقيته، كان أحد الخمسة اسمه بيرو ايليز، يشير إلى الفتيات المذعورات اللاتي التصقن باجساد امهاتهن، يطلبن منهن النهوض واحدة تلو الأخرى. وكان استخدام طرف البندقية له رسالته التي يدركها الجميع. حيث يعني الرفض اطلاق رصاصة تحسم المسألة.

امتثلن للأوامر وقمن. وقفت ياسمينا وعصمت وسابينا، بينما

---

(١) صحيفة المسلمون - ٣٠/ ٧/ ١٩٩٣م.

ران الصمت على المكان، وتعلقت بهن الأعين الملتاعة من كل اتجاه. أم ياسمينا اسمها ناسا، لم تحتمل المشهد، فدفنت رأسها في يديها المعروقتين. وفيما كان الجنود يقتادون طابور السبايا خارج القاعة، نكست الأمهات رؤوسهن تباعا وقد انهمر شلال الدموع من اعينهن. فقد كن يعرفن جيدا ماذا سيحدث بعد.

اغتصبوا ياسمينا وعصمت وسابينا في إحدى البنايات بمنطقة «فوجيورا» وفعل اقرانهم نفس الشيء في مقهى «سونجا» بمنطقة «فوجوسكا» وفي مقر المدرسة الابتدائية بـ«كالينوفيك»، وتلك كلها مناطق خارج سراييفو. وهناك أماكن أخرى أصبحت معروفة للكافة فأكثر مباني المصانع المعطلة ومقار المدارس والساحات الرياضية تحولت إلى مراكز للاغتصاب.

ورغم أن المرأة لم تر ابنتها منذ الثاني من اغسطس الماضي، إلا أنها تعرف بالتفصيل ما جرى لها. فبعض الفتيات اللاتي تم اقتيادهن معها في تلك الليلة المشؤومة، سمح لهن بالعودة إلى المدرسة الابتدائية اللاتي كن يقمن فيها مع الأمهات. وقد هرعت اليهن ناسا - كما هرعت بقية الأمهات - لتسمع من العائدات أخبار ياسمينا. «مونيرفا» كانت واحدة من أولئك العائدات. وهي فتاة لها قصة مبكية. ففي المرة الأولى التي حاول الجنود الصربيون اقتيادها معهم، توسلت اليهم «حماتها» بأن يتركوها لحالها، وأن يأخذوها هي بدلا منها، وفعلا ضموا الحماة ذات الخمس والخمسين عاما إلى مجموعة الفتيات اللاتي تم انتقاؤهن، واقتادوهن إلى المصير المعروف.

النساء دفعن الثمن :

يوم ١٠ يونيو ١٩٩٣ هزم الصرب في إحدى المعارك وقتل قائدهم «فوجفودا كارليز» وكان ذلك يوما أسودا في حياة المسلمات الواقعات في الأسر . هكذا قالت سيجما ، التي أضافت : لقد عوضوا خسارتهم أمام الرجال بالتمادي الوحشي في افتراس النساء .

ذلك أحد أساليب التطهير العرقي . يجري تنفيذه ضمن الأساليب الأخرى المعروفة . الفصل من العمل والقتل في الشوارع . والاعدام على الملأ . فضلا عن ترويع الناس بإحراق البيوت وهدمها هكذا قال ليفنسون ، الرئيس السابق لمفوضية اللاجئين ، الذي أضاف أن مسألة الاغتصاب المنتظم يجب ألا ينظر إليها منفصلة عن سياق التطهير العرقي التي عمد اليها الصرب واستهدفوا إجلاء أكبر عدد من السكان المسلمين من الأرض وتدمير معنوياتهم .

الإجهاض .. وأطفال العار

نتيجة لعمليات الاغتصاب، وإزاء ذلك البؤس المخيم، فقد أصبحت النساء يفضلن الإجهاض والتخلص مما في بطونهن على الانتظار حتى يلدن أطفالا يعجزون عن إرضاعهم أو إطعامهم.

ولأن الإجهاض هناك مسموح به منذ العهود السابقة فقد تزايدت معدلاته بصورة خطيرة ولافتة للنظر، فمقابل ٥٠ امرأة تجهض نفسها، فإن واحدة فقط هي التي تستبقي طفلها وتلده، النتيجة أن سراييفو التي كانت تستقبل عشرة آلاف مولود سنويا لم تستقبل في عام ١٩٩٢ سوى ألف فقط. وطبقا لما ذكره د. سناد محمد باششت، مسؤول مستشفى الولادة في المدينة، فإن الألف الذين ولدوا زادت بينهم التشوهات الخلقية بنسبة ١٠٠٪، وجميعا يعانون من سوء التغذية.

رأي بعض العلماء في إجهاض ضحايا الاغتصاب :

أشارت د. ليبي تاتا - عضو لجنة تقصي الحقائق في البوسنة من قبل الجماعة الأوروبية في تقريرها الذي أشرنا إليه آنفا - إلى أن الدعاة وعلماء الدين المسلمين في البوسنة يقومون بدور كبير لمساعدة المغتصبات على تخطي محنتهن، وتأكيد العلماء لهؤلاء النسوة على أن ما حدث لهن ليس لهن ذنب فيه.

هؤلاء الأطفال تجسيد للمأساة التي ترغب كل مغتصبة أن تنساها بمرور الزمن. وقد أعربت عدة جمعيات دينية أوروبية عن استعدادها لتبني هؤلاء الأطفال!!

وقد استطلعت صحيفة «الشرق الأوسط» - ٥/ ٣/ ١٩٩٣ - آراء عدد من علماء الاسلام حول إجهاض المغتصبات، فقال الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية كما نشرت الجريدة: (إذا جاوز الحمل الطور الأول «٤٠ يوما» لايجوز أن تطرح المرأة المغتصبة ما في بطنها. أما إذا كانت المرأة حصل منها تساهل في الدفاع عن نفسها فعليها التوبة إلى الله من ذلك). وأضاف الشيخ ابن باز: (إذا كانت المرأة المغتصبة عندها زوج فالولد للزوج وللعاهر الحجر أي أن الولد ينسب إليه إلا أن يلاعنها على نفيه كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم).

وقال الدكتور سيد درش رئيس مجلس الشريعة الاسلامية في بريطانيا: (إن الاغتصاب جريمة والإجهاض جريمة، فلا تعالج جريمة بجريمة أخرى والنساء المسلمات اللائي اعتدي عليهن لاذنب لهن في ذلك وإنما جريمة ذلك تقع على الضمير العالمي الذي سمح لفئة من الناس تعيش في أوروبا التي تدعي الحضارة والتقدم والدفاع عن حقوق الانسان أن تعتدي على نساء عزل وضع أزواجهن في معسكرات الإبادة وحرمهم المجتمع الدولي من حقهم الشرعي في الحصول على السلاح للدفاع عن أنفسهم، وشاركت أمة الاسلام في هذا العار حينما أمدت هذا الشعب المسلم بما ادعوه من المساعدات الانسانية وتركوهم للصرب يذبحون ويقتلون رجالهم ويغتصبون نساءهم).

وأضاف الدكتور درش أن هؤلاء الأخوات المسلمات لايجوز لهن أن يلجأن إلى عملية الإجهاض لآثارها السيئة عليهن نفسيا وبدنيا. وقال إن الشريعة الاسلامية تجعل الحمل الذي يحدث في قيام زوجية شرعية صحيحة ينتسب إلى الزوج ويأخذ اسمه والذي يزعم أن هذا الحمل منه بمعنى أنه زنا بأمه لا حق فيه. كما بيَّن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: [وللعاهر الحجر] أي يلقم حجرا يسد فمه أو لاشيء له لأن الحجر لا قيمة له، وهذا عكس ما يحدث في الدول الغربية حيث تعاشر الزوجة رجلا أجنبيا على حين هناك زوجية قائمة بينها وبين رجل آخر ومع هذا يدعي الزاني احقية انتساب الحمل اليه.

وقال الدكتور عبد المجيد القطمة رئيس الجمعية الطبية الاسلامية في بريطانيا أن جريمة اغتصاب مسلمات البوسنة تعد بلاشك من أكبر الجرائم التي شهدها المسلمون في كل تاريخهم، فقد قام الصرب بالاعتداء الجنسي على هؤلاء النسوة المسلمات والتأكد من ثبوت الحمل نتيجة ذلك الاغتصاب، اضافة إلى ضخامة عدد المغتدى عليهن «٥٠ ألف امرأة».

وأضاف الدكتور القطمة أن هذا الجنين بريء لاذنب له ويحتاج هو وأمه إلى اقصى درجات الرعاية الصحية والاجتماعية. وإن الشرع لايجوز اسقاط أي جنين إلا في حالة واحدة إذا تأكد قطعيا بشهادة عدة اطباء أن متابعة الحمل تفضي إلى وفاة الأم.

وأوضح رئيس الجمعية الطبية الاسلامية في بريطانيا أن الاسقاط بعد الأربعين يوما لايجوز شرعا، لأن في هذا الوقت «٦ أسابيع»

يتكوّن لحم الجنين وعظمه وسمعه وبصره وجلده. ويتضح أيضا في هذه الفترة جنس الجنين ذكرا أم أنثى.

وسبق للدكتور محمد سيد طنطاوي، مفتي مصر، أن أبلغ رأيه في ما تتعرض له نساء البوسنة والهرسك وقال: إن المسلمات البوسنيات اللاتي ثبت يقينا أنهن حملن سفاحا أو اغتصابا بسبب اعتداء قوات الصرب عليهن، يجب أن يتخلصن من هذا الجنين في أسرع وقت.

ورد الشيخ عبد الرحمن بن عقلا اللويحق إمام وخطيب جامع الراجحي في حي الملك فهد في الرياض على نداء بابا الفاتيكان بعدم الاجهاض بقوله: إنني اتساءل: هل يملك بابا الفاتيكان حق الافتاء للنساء البوسنيات؟ إن النساء البوسنيات مسلمات ولا يمثل بابا الفاتيكان أية مرجعية لهن، وليس له مصداقية عندهن، فالمرجع لهن هم علماء الشريعة الاسلامية.

ومضى يقول: وأيضا أتساءل: أليس من الأولى أن يبعث بابا الفاتيكان بندائه إلى الصرب الذين انتهكوا أعراض المسلمات ويوظف جهوده من أجل نصرة المظلومين ورد الظلم والعدوان فيبعث نداء لوقف عمليات الاغتصاب والتطهير العرقي؟ إن مثل البابا كمثل من يعالج جرحا في اصبع لانسان يعاني من نزيف في الدماغ!! إن علة المسلمين في البوسنة ليست مجرد الأجنة، فالأجنة عرض لأمر أكبر، إن المشكلة هي ذلك العدوان الصربي الصارخ الذي اجتاح ديار المسلمين وسلب أموالهم وطردهم من أراضيهم وانتهك أعراضهم، وحري ببابا الفاتيكان أن يوظف جهوده لرد ذلك العدوان ويبعث نداءاته إلى أولئك الظلمة.

وكـان البـابـا يوحـنا بولـس الثـاني، بابا الفـاتيكان، قـد نصح البوسنيات الحوامل بألا يسقطن حملهن. وقال في رسالة بعث بها إلى اسـقف سرايـيفـو «فينكو بوليـيك» موجهـا كلامـه إلى النسـاء: لاتسقطن حملكن فأطفالكن لايتحملون مسؤولية ما حدث لكن.

الخـــاتمـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

[عن زيد بن خالد الجهني، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من جهز غازيا في سبيل الله، عز وجل، فقد غز. ومن خلفه فقد غزا. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم - رواه الامام احمد].

إلى أخينا في الله .. والانسانية

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وبعد ..

فإنكم تعلمون - كما يعلم القاصي والداني على إمتداد القارات والحضارات - تلك المحنة التي يعيشها إخوانكم المسلمون في بلاد البوسنة والهرسك .. أولئك الذين تعرضوا إلى حرب إبادة شاملة، يشنها عليهم الجيش الصربي - وهو رابع أقوى الجيوش الأوروبية - مع العصابات الصربية داخل الجمهورية البوسنية.

إنها المحنة والمأساة التي لم يسبق لها في التاريخ مثيل. إنهم يتطلعون إلينا اليوم بعد اتفاق دايتون والذي تم التوقيع عليه في باريس يوم ١٤ ديسمبر ١٩٩٥م لنمدهم بالمال الذي يوفر لهم السلاح الذي يدافعون به عن المساجد التي تهدمت. والمصاحف التي تمتهن. والعلماء الذين يختارون الشهادة على التفريط في أمانة الله والنساء اللاتي يغتصبن . . والأيتام الذين تغتال إسلامهم إرساليات التنصير . . والوطن الذي تقطع أشلاؤه كي لا ترتفع من مآذنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

فماذا أنتم صانعون لله . . ولرسوله . . وللإسلام . . يا أبناء أمة محمد، عليه الصلاة والسلام؟!

إن المستضعفين، من مجاهدي البوسنة والهرسك الذين يتطلعون إليكم لتعينوهم . . إنما يذكروننا بصورة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا - لقلة إمكاناتهم المادية ولشدة شوقهم إلى الجهاد في سبيل الله - يبكون، لأنهم لا يجدون أدوات الجهاد . . حتى لقد رفع الله عنهم الملامة فقال سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم:

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢].

وفي ذات الوقت حكم الله، عز وجل، بأن الملامة واقعة على القادرين الذين يتخلفون فلا يقدمون بعضا مما أنعم الله عليهم،

لإعانة هؤلاء المحتاجين على الجهاد في سبيل الله:

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩٣].

نعوذ بالله وإياكم أن نكون من هؤلاء!!

إن جميع ما نتمتع به في هذه الحياة الدنيا من الصحة، والمال، والبنين، والأمن، وكل طيبات هذه الحياة، إنما هو هبة الله، الخالق لكل شيء، والمنعم علينا بكل شيء.

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١١].

إنكم - إخوة الإيمان والإسلام - أغصان طيبة في شجرة الاسلام الطيبة المباركة، وامتداد مبارك لصحابة رسول الله، فهل نبادر فنقرض الله قرضا حسنا - هو بعض مما أنعم به علينا - فنظفر بهذا الفوز العظيم الذي وعدنا به، سبحانه وتعالى؟!

إننا في موقف تمتحن فيه العقيدة .. والإنسانية .. والحضارة .. والمروءة .. وكل القيم التي يعتز بها الانسان .. والتي بدونها لن يكون هناك معنى للانسانية ولا قيمة للانسان.

واذا كانت وحدة الأمة هي واحدة من فرائض الاسلام: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن [من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم]. لأن [مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر

الجسد بالسهر والحمى] رواه البخاري ومسلم والإمام احمد .

فقط . . نحن مدعوون إلى تقديم أسباب النصر وتحقيق شروطه . . لنكون - بحق - خير خلف لأسلافنا من المجاهدين العظام . . وقبل كل ذلك . . نكون جديرين بالانتساب إلى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز .

فهرس المحتويات

صدر من هذه السلسلة

الرقم	العنوان	المؤلف
١	تأملات في سورة الفاتحة	د. حسن باجودة
٢	الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه	أ. أحمد محمد جمال
٣	الرسول في كتابات المستشرقين	أ. نذير حمدان
٤	الإسلام الفاتح	د. حسين مؤنس
٥	وسائل مقاومة الغزو الفكري	د. حسان محمد مرزوق
٦	السيرة النبوية في القرآن	د. عبد الصبور مرزوق
٧	التخطيط للدعوة الإسلامية	د. محمد علي جريشة
٨	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية	د. أحمد السيد دراج
٩	التوعية الشاملة في الحج	أ. عبد الله بوقس
١٠	الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره	د. عباس حسن محمد
١١	لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢	السنة في مواجهة الأباطيل	أ. محمد طاهر حكيم
١٣	مولود على الفطرة	أ. حسين أحمد حسون
١٤	دور المسجد في الإسلام	أ. محمد علي مختار
١٥	تاريخ القرآن الكريم	د. محمد سالم محيسن
١٦	البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام	أ. محمد محمود فرغلي
١٧	حقوق المرأة في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨	القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١]	أ. أحمد محمد جمال
١٩	القراءات: أحكامها ومصادرها	د. شعبان محمد اسماعيل
٢٠	المعاملات في الشريعة الإسلامية	د. عبد الستار السعيد
٢١	الزكاة: فلسفتها وأحكامها	د. علي محمد العماري
٢٢	حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	د. ابو اليزيد العجمي
٢٣	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٢٤	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	د. عدنان محمد وزان
٢٥	الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦	تربية النشء في ظل الإسلام	د. محمد محمود عمارة
٢٧	مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨	وحي الله	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩	حقوق الإنسان وواجباته في القرآن	أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	أ. محمد عمر القصار
٣١	القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	أ. أحمد محمد جمال

٣٢- الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج ــــــ د. السيد رزق الطويل
٣٣- الاعلام في المجتمع الإسلامي ــــــ أ. حامد عبد الواحد
٣٤- الالتزام الديني منهج وسط ــــــ الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٣٥- التربية النفسية في المنهج الإسلامي ــــــ د. حسن الشرقاوي
٣٦- الإسلام والعلاقات الدولية ــــــ د. محمد الصادق عفيفي
٣٧- العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ــــــ اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ــــــ د. محمود محمد بابللي
٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث ــــــ د. علي محمد نصر
٤٠- من التراث الاقتصادي للمسلمين ــــــ د. محمد رفعت العوضي
٤١- المفاهيم الاقتصادية في الإسلام ــــــ د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا ــــــ أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا ــــــ أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين ــــــ أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥- الطريق إلى النصر ــــــ أ. محمد عبد الله فودة
٤٦- الإسلام دعوة حق ــــــ د. السيد رزق الطويل
٤٧- الإسلام والنظر في آيات الله الكونية ــــــ د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨- دحض مفتريات ــــــ د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩- المجاهدون في فطان ــــــ أ. محمد ضياء شهاب
٥٠- معجزة خلق الإنسان ــــــ د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية ــــــ د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢- ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي ــــــ أ. أنور الجندي
٥٣- الشورى سلوك والتزام ــــــ د. محمود محمد بابللي
٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة ــــــ أ. أسماء عمر فدعق
٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة ــــــ د. أحمد محمد الخراط
٥٦- القرآن كتاب أُحكمت آياته [٣] ــــــ أ. أحمد محمد جمال
٥٧- كيف تكون خطيباً ــــــ الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨- الزواج بغير المسلمين ــــــ الشيخ حسن خالد
٥٩- نظرات في قصص القرآن ــــــ أ. محمد قطب عبد العال
٦٠- اللسان العربي والإسلام معاً في مواجهة التحديات ــــــ د. السيد رزق الطويل
٦١- بين علم آدم والعلم الحديث ــــــ أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢- المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان ــــــ د. محمد الصادق عفيفي
٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢] ــــــ د. رفعت العوضي
٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد ــــــ الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١] ــــــ الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦- أصلح الأديان عقيدة وشريعة ــــــ أ. عبد الغفور عطار

العنوان	المؤلف
٦٧- العدل والتسامح الإسلامي	أ. أحمد المخزنجي
٦٨- القرآن كتاب أُحكمت آياته [٤]	أ. أحمد محمد جمال
٦٩- الحريات والحقوق الإسلامية	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠- الإنسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١- موقف الجمهوريين من السنة النبوية	د. شوقي بشير
٧٢- الإسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣- تأملات قرآنية	د. عصمة الدين كركر
٧٤- الماسونية سرطان الأمم	أ. ابو إسلام أحمد عبد الله
٧٥- المرأة بين الجاهلية والإسلام	أ. سعد صادق محمد
٧٦- استخلاف آدم عليه السلام	د. علي محمد نصر
٧٧- نظرات في قصص القرآن [٢]	أ. محمد قطب عبد العال
٧٨- لماذا وكيف أسلمت [٢]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٧٩- كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا	أ. سراج محمد وزان
٨٠- الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ ابو الحسن الندوي
٨١- كيف بدأ الخلق	أ. عيسى العرباوي
٨٢- خطوات على طريق الدعوة	أ. أحمد محمد جمال
٨٣- المرأة المسلمة بين نظرتين	أ. صالح محمد جمال
٨٤- المبادىء الاجتماعية في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥- التآمر الصهيوني الصليبي على الإسلام	د. ابراهيم حمدان علي
٨٦- الحقوق المتقابلة	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧- من حديث القرآن على الإنسان	د. علي محمد حسن العماري
٨٨- نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة	أ. محمد الحسين ابو سم
٨٩- أسلوب جديد في حرب الإسلام	أ. جمعان عايض الزهراني
٩٠- القضاء في الإسلام	أ. سليمان محمد العيضي
٩١- دولة الباطل في فلسطين	الشيخ القاضي محمد سويد
٩٢- المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل	د. حلمي عبد المنعم جابر
٩٣- التهجير الصيني في تركستان الشرقية	أ. رحمة الله رحمتي
٩٤- الفطرة وقيمة العمل في الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
٩٥- أوصيكم بالشباب خيراً	أ. أحمد محمد جمال
٩٦- المسلمون في دوائر النسيان	أ. أسماء أبو بكر محمد
٩٧- من خصائص الإعلام الإسلامي	أ. محمد خير رمضان يوسف
٩٨- الحرية الاقتصادية في الإسلام	د. محمود محمد بابللي
٩٩- من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٠٠- مواقف من سيرة الرسول ﷺ	أ. محمد الأمين
١٠١- اللسان العربي بين الانحسار والانتشار	الشيخ محمد حسنين خلاف

العنوان	المؤلف
١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩- سقوط الأيديولوجيات	أ. أنور الجندي
١٤٠- الطفل في الإسلام	أ. محمود الشرقاوي
١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	أ. فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢- لمحات من الطب الإسلامي	د. حياة محمد علي خفاجي
١٤٣- الإسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤- أحمد محمد جمال (رحمه الله)	مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥- الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية	أ. أحمد أبو زيد
١٤٦- الإسلام والنظام العالمي الجديد (الطبعة الثانية)	د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧- من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٤٨- الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي	أ. زيد بن محمد الرماني
١٤٩- الماسونية والمرأة	أ. جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠- جوانب من عظمة الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٥١- الأسرة المسلمة	د. حسن محمد باجودة
١٥٢- حرب القوقاز الأولى	د. أحمد موسى الشيشاني
١٥٣- المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية - الجزء الثاني	أ. زيد بن محمد الرماني
١٥٤- المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي	د. السيد محمد يونس
١٥٥- القدس في ضمير العالم الإسلامي	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٦- الطريق إلى الوحدة الإسلامية	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٧- المركز القانوني الدولي لمدينة القدس	د. جعفر عبد السلام
١٥٨- الحوار النافع بين أصحاب الشرائع	د. عبد الرحمن الحوراني
١٥٩- الإنسان والبيئة	أ. علي راضي أبو زريق
١٦٠- الإسلام وأثره في الثقافة العالمية	أ. محمود الشرقاوي
١٦١- الموت .. ماذا أعددنا له ؟	أ. عبد الله أحمد خشيم
١٦٢- زواج المسلمة بغير مسلم وحكمة تحريمه	د. محمود محمد بابللي
١٦٣- عطاء الإسلام الحضاري	أ. أنور الجندي
١٦٤- إحياء الأراضي الموات في الإسلام	أ. عاطف أبو زيد سليمان علي
١٦٥- أهمية يوم الجمعة (خطب مختارة)	أ. محمد بن سليمان الأهدل

هذا الكتاب

كانت الرابطة قد أصدرت عدداً وثائقياً من مجلتها الشهرية عن أحداث البوسنة وما تعرض له الشعب المسلم من مآسي وفواجع قام بها الصرب والكروات معاً خلال السنوات الماضية.

وقد صدر العدد عام ١٤١٤هـ من شهري محرم وصفر وكان بعنوان (المؤامرة على المسلمين في البوسنة) تضمن احصائيات وحقائق توضح جانباً من الحرب الشرسة التي كان يتعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك.

واليوم يصدر هذا العدد عن البوسنة من سلسلة كتاب دعوة الحق الشهرية موثقاً أيضا بالأرقام والشواهد وما اعترف به عدد من رجال الغرب عن مدى العدوان ووحشيته الذي تعرض له سكان البوسنة من قبل الصرب بخاصة الذين اقترفوا جرائم وحشية في حق النساء والأطفال والرجال مما يندي له جبين الغرب المعاصر بل شمل عدوان الصرب والكروات أيضاً المآثر الاسلامية والمساجد والمكتبات ودور العلم والثقافة في همجية فاقت كل ما عرفته البشرية في تاريخها القديم من جرائم.

حدث ذلك بشهادة أوروبا المتحضرة والغرب المتمدن ولعل هذا الكتاب يعطي القارىء العربي فكرة أوضح عما حدث لشعب البوسنة يستطيع من خلاله أن يحدد ما يترتب عليه من مناصرة ومساعدة يقدمها لبلد مسلم وشعب مضطهد كل ذنبه أنه ولد مسلماً .. وارتفعت على أرضه المساجد والمآذن ودور العلم والثقافة.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

محمد محمود حافظ

ردمد ١٣١٩-٢٤٣٤ N



رابطة العالم الإسلامي